19me. année No 917

Le Caire 29 — 1 — 1951

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مصـ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩١٧ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٠ ربيع الآخر سنة ١٣٧٠ — ٢٩ يناير سنة ١٩٥١ — السنة التاسعة عشرة »

الدين والسلوك الانسانى

للاستاذ عمر حليق

— ٢ —

دراسة الدين والسلوك الدينى موضوع لن يطمح كاتب هذه السطور أن يستنبط له منهجا جديدا ؛ إنما هو يستوحى لذلك ما انتهجه بعض أئمة البحث الغربيين من مناهج ، وذلك لأن هذه الدراسة قصد بها التعرف على مشكلة الدين والسلوك الإنسانى فى المحيطين الأوروبى والأمريكى اللذين تغزو موجاتهما دعائم الفكر العربى فى هذه الآونة مما أوجد بين بعض المثقفين العرب اتجاها سلبيا إزاء وظيفة الدين الروحية والاجتماعية . وهذا ما يدفعنى إلى اتخاذ هذا النهج على أساس الحكمة التى تقول « من فمك أدينك »

ويجب ألا يغرب عن البال أن البحث فى وظيفة الدين الاجتماعية لا يعنى الانكباب على دراسة « اللاهوت » ؛ فاللاهوت يختص بالتعرف على التطور الفكرى والتاريخى للمذاهب الروحية ، بينما ينطوى علم الدين الاجتماعى على استعراض علاقة الغريزة الدينية بالحياة اليومية وما يعرف الآن بعلم الاجتماع الدينى

فالناحية اللاهوتية فى الدين تعالج العقيدة من حيث أنها إيمان وذلك عن طريق الدراسة لفلسفة الوجود والتعبير الدينى ممثلا فى الصلوات والعبادات . (١) وعلم الدين الاجتماعى يتطرق إلى الظواهر الاجتماعية وصلتها بالحياة الروحية . وهذا فى الواقع صلب الإشكال بين المفكرين فى الغرب وانقسام الرأى فيهم بين أنصار العقل والقيم الروحية من جهة ، وأنصار الغريزة البدائية من جهة أخرى

. ولا ريب أن العلاقة وثيقة بين اللاهوت وعلم الاجتماع الدينى ، ولكنها ليست ضرورية دائماً . ويخيل إلى أن الإسلام فى بساطته ووضوح تعاليمه لا يتطلب دفاعاً لاهوتيا على النحو الذى تتطلبه الأديان السماوية الأخرى

ولقد كثرت فى الآونة الأخيرة أبحاث بعض المفكرين المسلمين فى الشرق العربى عن علاقة الاسلام بالمذاهب السياسية والاقتصادية والفكرية المعاصرة. والجدل الذى أثير مؤخراً حول هذه البحوث لا يتطرق إلى صلب الدين الاسلامى ولا يجادل جوهره ومبادئه ، وإنما يطوف حول الناحية الاجتماعية فى التعاليم الاسلامية

والواقع أن هذا الظمأ إلى دراسة هذه الناحية الاجتماعية فى العقيدة الدينية قد ألهم الكثير من رجال الفكر الأوربى

---

١ — راجع
H,P Boullaye I, Etudes comparés des Religions
E,S Brightman A philosophy of Religion

والأمريكي الكتابة بحوث مماثلة لهذه التي صدرت مؤخراً في العالم الاسلامي (٢)

ولكن الفارق الرئيسي بين بحوث هؤلاء الغربيين وبين معالجات المسلمين هو افتقار الأديان السماوية الأخرى إلى التعاليم الدنيوية التي تنظم الحياة الاجتماعية . هذه التعاليم التي يزخر بها القرآن الكريم والحديث الشريف واجتهاد الأئمة المسلمين . وهذا فارق يبسط دراسة الناحية الاجتماعية في الاسلام لا على أساس من الاقتباس والاستعارة ولكن بالمقارنة وإعادة تفسير التعاليم الاسلامية وتطهيرها من الباطل الذي علق بها زوراً وبهتانا دون مساس بالعقيدة والجوهر ، وفي لغة يفهمها أهل هذا العصر

إذن فهدفنا الرئيسي هو التعرف على علاقة الدين بالظواهر الاجتماعية . ولعل في ذلك ما يساعدنا على تفهم المغزى الجليل النفع في السلوك الديني ويوفر لنا أضواء نلقيها على عظمة الروحانية التي يحمل لواءها الدين والتي تواجه هذا التحدي من عناصر المجتمع العربي هذه الأيام

ويجب أن نقرر في هذه المرحلة من الحديث أن الدين لم يمت ولن يموت ، لسبب بسيط وهو أن السلوك الديني تعبير عن الغريزة الدينية الكامنة في أنفسنا جميعا . والغريزة لا تموت دائما بل تنطمر في بعض الحالات تحت ركام من العقد النفسانية والمشاكل الدنيوية . فإذا توفر لها من يزيل عنها هذا الركام برزت صافية جلية تبعث في الفرد وفي المجتمع الطمأنينة الحقة وهي سر السعادة والهناء في عالم قلق مضطرب

فاتجاه بعض المفكرين إذن إلى دراسة الإسلام على ضوء علم الدين الاجتماعي هو نتيجة حتمية لموجة الاضطراب الفكري التي تعتري بعض المسلمين من أصحاب الثقافة الغربية في هذه الآونة ـ وبعض هؤلاء ابتعدوا عن الدين لا بدافع التحامل الأعمى أو الإلحاد ولكن لمجرد افتقار برامج التعليم إلى المواد الدينية بقسط أوفر من القسط الذي تحظى به هذه البرامج الآن ، وافتقار الحياة الفكرية كذلك إلى بحوث علمية تدرس الدين على أسس من المناهج المستحدثة

فالمشكلة إذن مشكلة جهل وليست مشكلة إلحاد، وإن كان الجهل في بعض الحالات يكون كفرا

ولست أدعي أبدا أن دراسة الناحية الاجتماعية في الدين الاسلامي تغني عن متابعة الاجتهاد في علوم الفقه والشريعة وأصول الدين على النحو الذي تقوم به معاقل الاسلام في الأزهر وغير الأزهر . فالحقيقة أن علم الدين الاجتماعي متمم لعلوم الفقه والشريعة وأصول الدين . فالدراسة الدينية تبرز الجوهر وتشرح التفاصيل وتفسر ما استعصى على بعض الناس فهمه من ألوان الروحانية التي يحملها الدين . والدراسة الاجتماعية للدين تشرح صلاح هذا الجوهر وهذه الروحانية لاحتضان المستجد المفيد من التفكير السياسي والاقتصادي المعاصر . والبارزة الفريدة في الاسلام أن كلتا الناحيتين متمازجتان في صورة متماسكة متشابكة ، الأمر الذي يورد بعض الكتاب موارد الزلل في معالجتهم لهذا التماسك وهذا التمازج

والخروج من هذا الإشكال يستوجب على الباحث أمرين :

١ ـ اختيار صادق للعقيدة والإيمان وما يستتبع ذلك من طمأنينة وسمو نفساني ونزاهة في التفكير والقصد

٢ ـ إدراك المشاكل الاقتصادية والسياسية التي تعيش في نفسية وجيل العصر الحاضر وفي مجتمعه

وللباحث أن يدرك كذلك الفرق بين العقيدة والإيمان وفلسفة الحياة الروحية ، وبين النظرة الواقعية لمجرى الشؤون الدنيوية والسلوك الإنساني (٣)

فليس هناك صدق علمي فيما يحلو للبعض الكتابة عنه هذه الأيام « كالاشتراكية في الاسلام » و « الشيوعية في الاسلام » وغير ذلك من عناوين ؛ وإنما هنالك مجال للبحث بين علاقة التعاليم الاسلامية بالمشكلة الاجتماعية أو الفكرة السياسية وما شابه

---

٢ ـ

Olive wyn The Social Teachings of the Christian churches
R. Neibuhr The Social structure of Denominalism
A. Tinani Catholocism Protestantism and Communism
A. Hyma christianity capitalism and communism

٣ ـ راجع كتاب

J. wach Sociology of Religion p. 7

ذلك من مظاهر النشاط الانسانى

فالاشتراكية والشيوعية نظم سياسية واقتصادية ، والدين عقيدة وإيمان فوق أنه دستور للنشاط الانسانى . والخلط بين الاثنين قصور عن فهم العقيدة وافتقار إلى اختبار الايمان وعجز عن تفهم ما انطوت عليه تلك النظم الاقتصادية من أسس قد لا تنطبق على كل مجتمع فى كل صعيد

فعلم الدين الاجتماعى لا يجوز أن يكون وسيلة لتنفيذ برنامج معين من برامج الإصلاح السياسى والاقتصادى؛ والترويج لها من مقتبسات القرآن والحديث والاجتهاد ، وإلا فقد الدين مزيته الرئيسية وأصبح كبرامج الأحزاب السياسية يتجدد ويتبدل بتبدل الأوضاع والملابسات

فقبل أن تنشأ الماركسية نشأت نظم سياسية واقتصادية واجتماعية عديدة تحدى بعض مروجيها العقيدة الدينية واتهموها بأنها عائق فى وجه الإصلاح . ثم اندثرت تلك النظم أو تطورت إلى نظم أخرى . وبقيت العقيدة الدينية كامنة فى قرارة السلوك الانسانى تحفظ الحياة وقيمها الرفيعة فى خضم القلق والثورات والحروب ، وتلهم الناس أسباب الطمأنينة والثقة بالعدالة الإلهية وبالاستقرار النفسانى والاجتماعى (٤) . ويحب كاتب هذه السطور أن يذكر على سبيل المثال أنه اشترك فى جامعة كولومبيا فى نيويورك فى السنة الماضية فى حلقة دراسية عالجت تطور التفكير فى أمريكا فى فترة ما بعد الحرب فتبين لأعضاء الحلقة أن الكتب الدينية هى من أكثر المنشورات رواجا فى عالم ما بعد الحروب ــ رواجا أثبتته إحصاءات الكتب الرائجة التى تنشرها الصحافة الأمريكية بانتظام (٥)

فالنظم السياسية والاقتصادية كالماركسية مثلا أسلوب فى الحياة يستمد مبادئه من الظواهر الاجتماعية وهذه الظواهر تتأثر بالظروف والأوضاع المتقلبة بينما الدين غريزة متأصلة فى قرارة النفس كغريزة الأكل واللعب . قد يأتى عليها حين ترسب خلاله إلى الحضيض لفترة قصيرة، ولكن لا مفر لها من أن تجد سبيلها إلى الشعور الواعى فى الأحيان الكثيرة

على أن هناك أموراً أخرى لا مفر من إقرارها ما دمنا بصدد الكلام عن منهج البحث منها :

١ ــ إدراك الباحث والقارئ معا واعترافهما بحقيقة الاختبار الدينى وقوة الإيمان والمتعة الروحية والتطور التاريخى الذى صاحب ولا يزال يصاحب التعبير عن هذا الاختبار وعن هذه المتعة . وهذا الاختبار إن كان يتنوع فى وسائل روحانياته بين مختلف الأديان السماوية إلا أنه اختبار على كل حال يشترك فيه كل مؤمن

والتنوع فى اختبار المتعة الروحية يستند أولا : إلى الاختلاف فى جوهر العقيدة (كما هو الحال بين الإسلام والبرهمانية مثلا حيث يجد بعض البرهمانين المتعة فى إيلام الجسد) . وتستند ثانيا : إلى اختلاف التطور الفكرى بين الشعوب وطبيعة أوضاعها التاريخية والجغرافية والحضرية . فإذا كان المسيحى الصادق فى أمريكا مثلا يخرج من صلاة الأحد طاهر القلب صافى الذمة ليذهب ويلعب ويعاقر الكأس وهو فى حل من الإثم والمعصية فإن المسلم لا يصح له ذلك ، فاختبار المسلم لروحانية الدين تنفى كل ذلك . والتطور التاريخى والفكرى فى أمريكا أصبح يحول بين المتعة الروحية فى الكنيسة وصفاء نفس المؤمن صفاء صادقا وبين انعكافه وهو فى هذا الصفاء على احتساء كأس من الخمر والتسلى بلعب الورق (٦)

ومثل هذا تنوع جوهرى لا يفطن له الذين يعالجون الناحية الاجتماعية فى الاسلام على ضوء ما استوحوه من التفكير الغربى ولعل ذلك يفسر التباس الأمر عليهم فى بعض أوجه الملائمة بين

---

٤ ــ راجع كتاب

L. I. Bernard, The Field and Method of Sociology of Religion

٥ ــ مثال ذلك كتب :

Mgr. Sheehan, peace of Soul فى طبعته الخامسة عشر

Overstreet The Mature Mind فى طبعته العاشرة

Leiberman, peace of Mind فى طبعته السادسة

5-Max weber, protestant Ethics and the Rise of capitalism

٦ ــ ..... من الكتب الفريدة التى عالجت الملائمة بين الروحانية الدينية والنشاط العملى كتاب ماكس ويبر

وكذلك كتاب

J. Dorfman, The pramatic Mind in Amercan Civilizatio

إسعاف النشاشيبي

بمناسبة ذكرى وفاته

للأستاذ كامل السوافيري

يصادف ظهور هذا العدد من مجلة الرسالة موعد حلول الذكرى الثالثة لوفاة زعيم العربية وإمام المحققين المغفور له الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي إذ طواه الردى في منتصف ليل اليوم الثاني والعشرين من يناير سنة ١٩٤٨

ومن حق الفقيد على مجلته الأثيرة التي خصها بنقله ، أن تفسح صدرها لدمعة عليه في يوم ذكراه وهي المجلة التي استمدت وفاءها من عميدها الكبير الذي كان ثالث ثلاثة استبقاهم الرفاء بجانب الفقيد في ساعاته الأخيرة ، والذي عده الفقيد ثالث الكتاب بعد الجاحظ وأبي حيان وقال عنه إنه أمير النثر والناثرين وإنه سيد البلغاء (١). وهيهات أملي العاجز أن يتطاول فيحاول أن يوفي الفقيد حقه ، أو يحصر مآثره على لغة الضاد وهو الذي حمل لواء الدفاع عنها خمسة وستين عاماً يصول في كل ميدان ، ويجول في كل حلبة فما نبا لهصارم ولا كبا به جواد. ولكنها عبرة أسكبها وزفرة أرجيها تقديراً لعلم من أعلام الأدب وكوكب مشرق في سمائه طالما أرسل ضياءه إلى دنيا العرب والعروبة

ومن حق الفقيد على الأدباء في مصر والعالم العربي أن يحتفلوا بذكراه وهو الذي دوى صوته مجلجلاً في القدس ودمشق وبيروت والقاهرة وبغداد فهز القلوب بأسلوبه الرائع ، وبيانه الساحر . ولكننا في الشرق — والأسى يملأ الجوانح — نضن بالوفاء على الأحياء فكيف بمن ضمهم الثرى، وواراهم التراب

لقد كان الفقيد طرازاً خاصاً من الأدباء تعصب للفصحى ،

(١) من كلمة للجديلي بك عن الفضيلة الرسالة عدد ٧٦٢

الإسلام والمشاكل الاجتماعية

٢ — دراسة الظواهر الدينية كما تبدو في المجتمع . وهذا يتطلب تجرداً علمياً ينفذ إلى الصميم . لا يأخذ بقشور هذه الظواهر وإنما ينفذ إلى اللباب الذي كثيراً ما تتراكم عليه ألوان من العرف والعادات والتقاليد التي ليست من أصوله ولا هي من جوهره . ولعل التحامل الذي يصدر عن بعض مفكري الغرب في دراستهم للدين الإسلامي يعزى إلى فقدان هذا التجرد والعجز في إزالة الركام عن لباب الظواهر الاجتماعية. وهذا أيضاً خطأ يأخذ به بعض المحدثين من المسلمين أنفسهم إذا ما حاولوا معالجة السلوك الديني في المجتمع الذي يعيشون فيه

٣ — توزيع العمل في الدراسة العلمية . فالباحث في علاقة الدين بالمشاكل الاجتماعية لا بد وأن يكون ملماً بكلا الموضوعين إلماماً واسعاً . فالاقتصادي الذي يكتب عن الاقتصاد في الاسلام لاينبغي أن يقتصر على ذخيرة من علم الاقتصاد وإنما يترتب عليه أن يلم إلماماً دقيقاً بهذا التراث الضخم من الشريعة الاسلامية وهو تراث ينفق الناس السنوات في التعرف على بعض ألوانه وقل مثل ذلك عن رجال الدين الذين يعالجون المسائل الاقتصادية المعيقة من وجهة النظر الدينية

ووجه القصور في بعض من كتب عن « الشيوعية في الاسلام » أو « الاشتراكية في الاسلام » أو « العدالة الاجتماعية في الاسلام » أنهم ادعوا ما ليس لهم به علم كاف . فالاشتراكية مثلا مزيج من فلسفة واقتصاد وسياسة ودراسة اجتماعية وهي أدق وأعقد من أن تؤخذ في سطحيتها وتقارن بالشريعة الاسلامية وفروع التخصص فيها عديدة متفرقة

فالكتابة عن العلاقة بين الدين والمشاكل السياسية والاقتصادية والاجتماعية عمل يجب ـ إذا توخى النفع الصادق ـ أن يشترك فيه جماعة من أهل الاختصاص في حلقة أو حلقات يقوم فيها كل في مجال اختصاصه بالدرس والبحث والتنقيب . أو أن يتفرغ لها الكاتب فترة معقولة من الزمن يستعين بالمراجع الوثيقة في المواضيع التي تمس لباب البحث مساً مباشراً أو غير مباشر. مستأنساً بآراء أهل العلم حين يستعصي عليه الفهم

أما اتباع الأسلوب الصحفي في الكتابة عن هذا الموضوع أو التصدي لمعالجته في أدب المقالة والإنشاء فلن يحقق نفعاً صادقاً

نيويورك « للبحث صلة » عمر حليق

واعتز بلغة الضاد وتصدى للداعين لنبذها والاستعاضة عنها بالعامية الغوغاء ورماهم بشواظ من بيانه فأخرس ألسنتهم ، وله فى ذلك مواقف رائعة تختال لها اللغة عدنان بشرا وطربا

تعصب إسعاف للغة العربية لأنه يراها أهم عنصر فى القومية، فمن تنكر للغته فقد تنكر لقوميته؛ ومن تنكر لقوميته فقد غدا حربا على أمته وبلاده. وفى هذا يقول (اللغة هى الأمة، والأمة هى اللغة وضعف الأولى ضعف الثانية، وهلاك الثانية هلاك الأولى. واللغة ميراث أورثه لآباء الأبناء، وأحزم الوراث صائن ما ورث، وأسفههم فى الدنيا مضيع، وإنا أمم اللسان الضادى لعرب وإن لغتنا هى العربية وهى الإرث الذى ورثناه وإنا لحقيقون — والآباء هم الآباء واللغة هى اللغة — بأن نبق عربية الجنس وعربية اللغة (٢)) ولقد قضى الفقيد القسم الأول من حياته مدرساً للغة العربية فى مدارس فلسطين قبل الانتداب البريطانى وبعده ثم سمت به كفاءته فارتقى حتى وصل إلى درجة التفتيش العام للغة العربية فى القطر بأسره. فنهض بها نهضة ارتفعت بها إلى أسمى الدرجات رغم أن حكومة الانتداب البريطانى كانت تقاوم ازدهار اللغة العربية ، وتحول دون تبوئها المكانة اللائقة كلغة قومية فى قطر عربى. ومن مآثره الجليلة فى هذه الناحية كتاب أسماه البستان اختار فيه مقطوعات شعرية ، وكلمات نثرية يستظهرها الطلاب فى مدارس فلسطين الابتدائية والثانوية، وكان موفقاً كل التوفيق فى الاختيار إذ بث فى نفوس الناشئة حب الوطن ، والتطلع للمجد ، والتأهب للوثبة. وله غير بستانه الزاهر رسائل منها كلمة فى اللغة العربية وكلمة فى رثاء أمير الشعراء شوقى بك، وثالثة فى الزعيم إبراهيم هنانو. وآخر مؤلف طبعه كتاب الاسلام الصحيح. ورغم أن إسعاف قد ارتقى إلى ذروة المجد، وتسنم الشهرة فى أفق اللغة والأدب ، فقد كان على جانب كبير من دماثة الخلق ، وحسن الطبع ، وعظم التواضع حتى ليشعر محدثه بأنهما فى مستوى واحد ، والفرق كبير والبعد شاسع. وهو محدث لبق ، والذين أتيح لهم أن يصغوا إليه فى الكونتنتال حين يتوسط الحلقة. ويدير الدفة يشهدون ببراعة فى الحديث وإجادة فى التعبير. ولقد وقف إسعاف حياته على خدمة العربية لغة القرآن ، وما رأيته إلا قارئا أو خطيبا أو كاتبا أو منقبا أو مصححاً يستتر بأسماء متعددة ويتخفى بأزياء متباينة لأنه لا يبغى مزيداً من شهرة أو ظهور

والمجلات الشهيرة فى العالم العربى وفى مقدمتها الرسالة فى مصر ومجلة المجمع العلمى فى دمشق زاخرة بأبحاث الفقيد فى شتى النواحى العلمية والأدبية

ولقد كان إسعاف قوى الإيمان ، راسخ العقيدة. فاهما الاسلام حق الفهم ، القرآن حداؤه وغناؤه ، والرسول الكريم قدوته وفى (خورنقه) (٣) تجد اسم محمد صلى الله عليه وسلم معلقاً أمامه على الجدران فى صور متعددة. يامحمد — أنا عبدك يارسول الله

وتهتز أعطافه عندما يرتل آى الذكر الحكيم وترتيل العربى الصميم الذى أحاط بأسرار اللغة العربية فنهم الآيات الفهم الكامل وأدرك ما ترمى إليه من أهداف ومقاصد ، وهو الذى يقول فى القرآن :

(يا أيها الكتاب المعجز، لقد هلك من يدرك فصاحتك ، ويكتنه بلاغتك ، ويقدرك حق قدرك. لقد هلك من كنت تتلو عليهم آياتك فيدهشون ويخرون سجداً وبكيا. وهل يعرف بلاغتك المرفة البالغة إلا عربى قح صليب لم تشن ملكته العربية من العجمة شائنة ولم تؤذ أذنه كلمة قلقة) (٤)

وبعد فقد عرفت اسعاف عندما استظهرت أول مقطوعة من بستانه فى مدارس فلسطين؛ ثم امتد بى الزمن فالتقيت به وعرفته محدثا ومحاضراً وكاتباً وخطيباً مفوهاً يستحوذ على القلوب ويلعب بالعواطف ، وكان إعجابى به يتزايد وتقديرى له يعظم؛ ولكنى دهشت للجهد الجبار الذى بذله فى إخراج كتابه (الاسلام الصحيح) الذى تفضل باهدائه إلى منذ عشرة أعوام.

لقد أخرجت مطبعة العرب فى القدس هذا الكتاب سنة ١٣٥٤ هـ وقد ذكر فيه المؤلف بعض المراجع ، وأخذت أنا أحصى ذلك البعض فاذا به لايقل عن مائتى مرجع فى شتى العلوم والفنون من لغة وأدب وتاريخ وملل ونحل وفقه وشريعة وأصول ، ولما

(١ من كلمة الفقيد فى اللغة العربية ألقاها سنة ١٩٢٧

٣ — اسم يطلق على قصره المنيف فى القدس

٤ — من كلمة للاستاذ الرشدان عن الفقيد فى الرسالة عدد ٨٢٠

الفارابي فى الشرق والغرب

ومكانته فى الفلسفة الاسلامية

- تتمة -

للاستاذ ضياء الدخيلى

والحقيقة أن سمو مكانة الفارابى فى الفلسفة كان حديث المتقدمين ولم يزل حديث المتأخرين المصريين . قال الأستاذ (أبو ريده) فى تعاليقه على كتاب (تاريخ الفلسفة فى الإسلام) المستشرق (دى بور) إذا كان الكندى قد اعتبر فيلسوف العرب تمييزاً له عن أقرانه من الفلاسفة غير العرب فإن الفارابى يعتبر فيلسوف المسلمين بالحقيقة كما يقول صاعد الأندلسى فى طبقات الأمم وفيلسوف المسلمين غير مدافع كما يقول القفطى فى أخبار الحكماء. أما ابن خلكان فإنه يقول فى وفيات الأعيان إن الفارابى كان أكبر فلاسفة المسلمين ولم يكن فيهم من بلغ رتبته. ويقول ظهير الدين البيهقى فى كتابه تاريخ حكماء الإسلام المخطوط فى دار الكتب المصرية، وكان أبو على تلميذاً لتصانيفه ، وأورد هذا الرأى الشهرزورى أيضاً فى كتابه نزهة الأرواح وروضة الأفراح المصور بمكتبة الجامعة المصرية ويكاد يلمس الإنسان صحة هذا الكلام فيما يفوق الحصر من آراء ابن سينا التي أخذها عن الفارابى من غير تغيير حتى فى ألفاظها . ونكاد لا نجد فى فلسفته شيئاً إلا وأصوله عند الفارابى. ويقول ديترصى Dieterici فى مقدمته لرسائل الفارابى (إن الفارابى مؤسس الفلسفة العربية) (١) والذى يقرأ الفارابى يجد فى تفكيره طرافة ونضوجاً وفهماً عميقاً يدل على طول تأمل فى الفلسفة. وإذا كان الكندى الفيلسوف العربى كما يعلم (دى بور) قريب الصلة بالمتكلمين وبالفلاسفة الطبيعيين — ونستطيع أن نعرف هذا من أسماء مؤلفاته — فقد لا نكون بعيدين عن الصواب إذا

(١) مقدمة رسائل الفارابى لديترصى

تصفحت الكتاب وجدت فى ثنايا صفحاته مراجع أخرى غير التى ذكرت قبلا فلم أستطع تجاه ذلك المجهود إلا أن أحنى هامتى إجلالا واحتراما لتلك القدرة على الدرس والبحث والاستقصاء التى قلما تهيأ لكثير من الناس .

ولقد صدر الفقيد ذلك الكتاب الذى نفدت طبعته بمقدمة صغيرة جاءت آية فى البلاغة والإعجاز وبرهان صدق على تمسك الفقيه بدينه ، واعتزازه بيقينه ؛ إذ يقول عن الاسلام (الاسلام هو دين الحق . ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه ومحمد خير الخلق وهذا الكتاب وهذا الأثر وهذا تاريخ البشر فاقرأ كتاب كل دين وانظر أثر كل عظيم وفتش صحف التاريخ واحكم إن كنت من الحاكمين . هات ، هات وهيهات أن تجد مثل القرآن وحياً أو رقيما ، واذكر نظير محمد نبيا أو عظيما إن تذكرت أو تفكرت ونقبت وحققت فمثل القرآن كتاب الله ما أوحى الله وما أنزل ، ومثل محمد (صلى الإله على محمد) فمثل محمد فى الدنيا ما كان ومثل محمد فى العالم لن يكون) ويتحدث عن القرآن فيقول

الضياء قديهر إشعاعه فى حروف وكلمات ، والكهربية إلهية تسرى فى عبارات، والمعجزات ـ لا الشعبذات ـ بينات فى آيات. والحق من لدن الله يسير فى الأرض مع الناس هادياً ودليلا ذلكم هو القرآن الذى يتلوه القارئون .

محمد دينه التساوى ودينه العدل والنصفة ، فلا شريف ولا مشروف ولا كبير ولا صغير ولا أمير ولا مأمور ولا قبيل أفضل من قبيل ولا قوم خير من (يا أيها الناس إنا خلقنا كم من ذكر وأنثى وجعلنا كم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقا كم) والفضل بالفضل والتقديم بالعمل وأن ليس للانسان إلا ما سعى

رحمك الله إمام العربية ، وأمطر على قبرك شآبيب الرحمة والرضوان جزاء ما أسديت للغته وقرآنه .

كامل السوافيرى

قررنا أن الفارابي أول فلاسفة الإسلام على الحقيقة وقد كان يحيا حياة الفلاسفة من زهد وانقطاع إلى التأمل

وقد كرر كلمة (ديبترمي) هذه التي تحدثنا من إعجاب هذا المفكر الغربي بالطرافة والنضوج والفهم العميق الذي يدل على طول تأمل في الفلسفة والأمور التي وجدها فيما دونه الفارابي من الآثار الخالدة — يذكرني هذا بما قرأته للعقاد في رسالته عن (أثر العرب في الحضارة الأوربية) إذ قال إن الآراء الفلسفية التي قال بها أمثال الفارابي والكندي وابن سينا والغزالي وابن رشد وابن طفيل — لا تعد غريبة كل الغرابة عن مذاهب العصر الحديث لأنها لم تخل عن آراء تكلم فيها أساطين الفلسفة الإســـلامية وعرضوا لها إما بالإسهاب أو بالإيجاز)[١] وقد قال العقاد بعد ذلك ومن المشابهات غير البعيدة (أي بين آراء القدماء والعصريين) ما يصح أن يسمى الطور الأول لمذهب التطور (الذي نسب إلى داروين وكتابه أصل الأنواع) وقد عبر عنه الفارابي حيث قال في آراء أهل المدينة الفاضلة مفسراً لأقوال المعلم الأول إن ترتيب هذه الوجودات هو أن تقدم أولا أخسها ثم الأفضل فالأفضل إلى أن تنتهي إلى أفضلها الذي لا أفضل منه . فأخسها المادة الأولى المشتركة والأفضل منها الأسطقسات (وهي الأصول والعناصر وهي على زعمهم الماء والتراب والهواء والنار) ثم المعادن ثم النبات ثم الحيوان غير الناطق وليس بعد الحيوان الناطق (أي الانسان) أفضل منه . وقد تقدم لديترمي أن اعتبر الفارابي المؤسس للفلسفة العربية ويظهر أن هذا الرأى لم يقتصر على ذلك الكاتب الغربي فقد شاركه فيه بعض المؤلفين في الشرق فقد جاء في كتاب (دروس في تاريخ الفلسفة) في رأينا أن الفارابي (٩٥٠ م) على الرغم من جهل الناس به هو الأب الحقيق للفلسفة الإسلامية فقد شاد بناءها وألم بأجزائها الرئيسية رابطاً بعضها ببعض ولا نكاد نجد فكرة عند خلفائه إلا ولها أصل لديه ، وكل ما لهؤلاء من فضل غالباً أنهم وضحوا غامضه وفصلوا القول فيما أجمله . ويخيل إلينا أنه أعرف فلاسفة الإسلام بتاريخ الفلسفة لذلك نراه يتحدث عن المدارس اليونانية ويبين الفوارق التي تفصل كل واحدة منها عن الأخرى ويحاول التوفيق بين أفلاطون وأرسطوطاليس (فيلسوفي اليونان في رأيه بلا جدال) وقد ألف كتباً عدة بعضها شرح لمؤلفات أرسطو طاليس أو مختصرات لها وبعضها الآخر كتبه ابتداء ليعبر به عن رأيه وبحثه الخاص وما وصلنا من هذه الكتب كاف لتفهم نظريته)[١] وفي كتاب (نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس) أن الفارابي التركي الحكيم المشهور صاحب التصانيف المشهورة في المنطق والموسيقا وغيرهما من العلوم كان من أكبر فلاسفة المسلمين ولم يكن فيهم من بلغ رتبته في فنونه [٢] ويقول الأستاذ محمد فريد وجدي في (دائرة المعارف) الفارابي أبو نصر التركي الفيلسوف المشهور هو أكبر الفلاسفة الإسلاميين له تصانيف عديدة في المنطق والموسيقى وغيرهما من العلوم لم يكن من المسلمين من بلغ رتبته في فنونه)[٣] وترى تقارب العبارتين في الصيغة والمعنى والمبنى، والظاهر أن مؤلف دائرة المعارف أخذ الترجمة من هذا الكتاب أو كلاهما تطفلا على مؤلف ثالث ، وكان العباس بن علي بن نور الدين المكي الحسيني فرغ من تأليف نزهة الجليس سنة ١١٤٨ هـ

ويقول الدكتور حسن إبراهيم حسن في كتابه (تاريخ الإسلام السياسي والثقافي والاجتماعي) ومن أشهر فلاسفة الإسلام أبو نصر ويعتبر أكبر فلاسفة المسلمين حتى لقب بفيلسوف المسلمين بالحقيقة وفيلسوف المسلمين غير مدافع [٤] أما ابن تغري بردى الأتابكي في (النجوم الزاهرة) فإنه يورد فيمن ذكر الذهبي وفاتهم في سنة ٣٣٩ هـ قوله (وأبو نصر الفارابي صاحب الفلسفة)[٥] أما أبو الفداء المتوفى سنة ٧٣٢هـ فيكتفي أن يقول في تاريخه وفي هذه السنة توفي أبو نصر

٢ ـ أثر العرب في الحضارة الأوربية

١ ـ دروس في تاريخ الفلسفة للدكتور ابراهيم بيومي ورفيقه
٢ ـ نزهة الجليس
٣ ـ دائرة المعارف لفريد وجدي
٤ ـ تاريخ الاسلام السياسي والثقافي والاجتماعي
٥ ـ النجوم الزاهرة

الفيلسوف ثم يتحدث عنه وعن دراسته وأسلوب حياته وأشياء أخرى (١) ولكنه لا يبين تلك الألقاب الضخمة التي يصفها عليه من ذكره من المؤلفين الآخرين. ويقول ابن النديم من القرن الرابع في (الفهرست) (أبو نصر ... من المتقدمين في صناعة المنطق والعلوم القديمة (٢) وجرجي زيدان من المتأخرين يقول عن الفارابي في كتابه (تاريخ آداب اللغة العربية) (وكان فيلسوفاً كاملا درس كل ما درسه من العلوم وفاق في كثير منها وخصوصاً المنطق) ويقول الزركلي في (الأعلام) الفارابي ويعرف بالمعلم الثاني أكبر فلاسفة المسلمين ويقول ابن الأثير في الكامل) (وفيها توفي الفارابي الحكيم الفيلسوف صاحب التصانيف فيها) ويقصد إعادة الضمير من (فيها) إلى الفلسفة المفهومة ضمناً. ويحدثنا ياقوت الحموي المتوفى سنة ٦٠٦ هـ في (معجم البلدان) وإليها (إلى فاراب) ينسب أبو نصر الفارابي الحكيم الفيلسوف صاحب التصانيف في فنون الفلسفة (٣)

وهنا نلاحظ أن ياقوتا الحموي وابن الأثير وغيرهما يذكرون في التعريف بالفارابي أنه صاحب التصانيف في فنون الفلسفة فلابد أن تكون لفيلسوف المسلمين جملة مؤلفات ولكن المتداول والمعروف منها شيء زهيد لا يثير الكاتب عن الفارابي لأن ينعته ويعرفه بأنه صاحب التصانيف في فنون الفلسفة. ثم إن مؤرخي حياته يقولون إنه كان يقضي حياته بين الأشجار يكتب. إذن فهو مواظب دائب على الكتابة والتأليف منقطع عن الناس منعزل قد توفر وكرس وقته للكتابة وذلك يقتضي أن يكون كثير الإنتاج فأين ذهبت آثاره؟ لا شك في أنه كان له جملة كتب ومؤلفات ضاعت من العالم الإسلامي فيما ضيع من كتب علمائه وفلاسفته بتأثير النكبات وغزوات التتار

والحروب والفتن الداخلية وقد لاقت كتبه مقاومة عنيفة من الغزالي وأنصاره ومن ابن تيمية وأتباعه ومن الحنابلة الذين لعبوا في بغداد أدواراً مهمة في اضطهاد الفلسفة. ويؤيد ما تقدم من ضياع كثير من مؤلفات الفارابي ما وجدته في كتاب (فصول الحكماء) إذ روى مؤلفه السيد محمد أبو الهدى الصيادي الرفاعي عن البيهقي أن للفارابي كتباً كثيرة يجهلها الناس وقد قال إن العلامة ظهير الدين البيهقي رأى في خزانة نقيب النقباء بالري كتباً كثيرة من مؤلفات الفارابي لم تطرق سمعه وهي بخط الفارابي) وهذا مما يؤيده العقل إذا رجع إلى الأسباب المتقدمة

والحق أن الناس قد تحدثوا كثيراً عن مكانة الفارابي في الفلسفة. قال الأستاذ مصطفى عبد الرازق يقولون الحكماء أربعة: اثنان قبل الإسلام وهما أفلاطون وأرسطو، واثنان في الإسلام وهما أبو نصر الفارابي وأبو علي ابن سينا. وكان بين وفاة أبي نصر وولادة ابن سينا حوالي ثلاثين سنة. وكان أبو علي بن سينا تلميذاً لتصانيف الفارابي يعترف أنه لولاها لما اهتدى إلى فهم ما بعد الطبيعة. وكما لقب أفلاطون بالحكيم الإلاهي وأرسطو طاليس بالمعلم الأول لقب الفارابي بالمعلم الثاني وابن سينا بالشيخ الرئيس. وآراء الناس مختلفة في تقديم الفارابي أو ابن سينا. يقول ابن خلكان عن الفارابي (هو أكبر فلاسفة المسلمين ولم يكن منهم من بلغ رتبته في فنونه والرئيس أبو علي بن سينا المتقدم ذكره بكتبه تخرج وبكلامه انتفع في تصانيفه) أما الشهرستاني فيقول عند الكلام على فلاسفة المسلمين (ومنهم الفارابي وإنما علامة القوم أبو علي بن سينا) فهو إذن يقدم ابن سينا على من اعتبره ابن خلكان أستاذه

وهذا ابن سبعين الفيلسوف الصوفي الأندلسي الذي يقال إنه انتحر بمكة شوقا إلى الاتصال بالله سنة ٦٦٩ هـ يقول في كتاب له مخطوط ما نصه نقلا عن المجموعة التي نشرها الأستاذ ماسنيون المستشرق الفرنسي المعروف (وأما الفارابي فقد اضطرب وخلط وتناقض وتشكك في العقل الهيولاني وزعم أن ذلك عويه وغرفة؛ ثم شك في النفس الناطقة هل غمرتها الرطوبة أو حدثت بعد وتنوع اعتقاده في بقاء النفوس بحسب ما ذكر في كتاب الأخلاق، كتاب المدينة الفاضلة والسياسة المدنية وأكثر تآليفه في المنطق وعدة كتبه نحو خمسة وسبعين كتاباً وفيها من الإلاهيات تسعة وهذا لرجل أفهم فلاسفة الإسلام وأذكرهم للعلوم القديمة وهو الفيلسوف فيها لا غير، ومات وهو مدرك

---

١ – تاريخ أبي الفداء
٢ – فهرست ابن النديم
٣ – جرجي زيدان والزركلي وياقوت الحموي

وحقق وزال عن جميع ما ذكرته وظهر عليه الحق بالقول والعمل ولولا التطويل لذكرت ذلك مفصلا (١) هذا ما يقوله ابن سبعين وقد تناول بالنقد اللاذع بل بالتحقير الشنيع ابن سينا والغزالي وابن رشد

إلى هنا نقف لنعود في القريب العاجل لنعرض لقراء الرسالة الكرام صفحات رائعة لأثر فلسفة الفارابي في العقل البشري فنستعرض سياحة الفارابي في أوربا ونشهد الموجات العنيفة الثورة التي صدمت هذا الفيلسوف فنستعرض الفارابي تحت مطارق خصومه في الشرق والغرب فإلى الملتقى

بغداد — ضياء الدخيلي

١ ـ فصول الحكماء
٢ ـ العلم الثاني
٣ ـ مجموعة ماسينيون

ذكرى الشاعر الثائر

معروف الرصافي

للأستاذ حمدي الحسيني

السيد معروف الرصافي رحمه الله شاعر عربي فحل، ولد في العراق ونشأ فيه، اشتغل بالتعليم في العراق والآستانة والقدس ودخل مجلس النواب العثماني نائبا عن متصرفيه — المنتفك — من أعمال العراق. عاصر عبد الحميد واكتوى مع الشعوب العثمانية عامة بنار مظالمه، فتألم لشدة وقع تلك المظالم ولكنه لم ينطو على ألمه شأن المستضعفين من الناس الذين يقع الظلم على رؤوسهم فيطأطئون تحته صابرين، وينصب الأذى على نفوسهم فيحتملون الأذى خاضعين، بل ثار على الظلم ثورة عنيفة صاخبة وقاوم الأذى بمقاومة قوية صارخة. وقد شهد الانقلاب العثماني وسقوط الجبار عن العرش، فثارت الحية في نفسه وصاح في وجه الجبار بصوت متهدج جهوري يحمل كل عواطف إرواء الغليل وشفاء الصدر، ورأى طالعة الدستور البهية مشرقة على الإمبراطورية العثمانية فكبر وهلل ورحب بالدستور ترحيب الصب المستهام وتغنى بحسناته بأعذب الأنغام.

خالط الاتحاديين وهم في منصة الحكم وفي ظل الدستور فأطرى ومدح، وعندما جنحوا عن المحجة صاح في وجوههم غاضبا مؤنبا عاتبا معنفا. ورأى توثب العرب للنهضة وتحفزهم للنضال في سبيل الحرية فأحس بإحساسهم ومشى في صفوفهم يثير في نفوسهم ما كمن من القوة ويحرك في عواطفهم ما خمد من الانطلاق والحركة. واتصل بالملك العربي بالشام والعراق وبالحركات الوطنية في العراق وسوريا وفلسطين فابتأس وتنعم وبكى وتبسم

والرصافي كما عرفناه في القدس بالمباشرة، وفي شعره بالسماع والمطالعة، عميق الشعور حاد الذكاء مرهف الحس ثائر النفس قلق العواطف مكبوت الرغبات، وهو على علمه وفضله وعلو كعبه في اللغة والأدب وعلى سبقه في الحركة العربية القومية وجليل أثره في ميدان الكفاح في سبيل الحرية والاستقلال كان يعيش في ضنك من الحياة وبؤس في العيش ولكن هذا الضنك وهذا البؤس لم يؤثرا على عزة نفسه ولم يطأطئا منه الكرامة وعلو الهمة. وكثيرا ما كان يتمثل بهذا البيت: —

تعود كل بؤسها ونعيمها   وعشنا على بؤس ولم نتعود

وكل ما فعل الفقر في نفس الرصافي هو الكبت: فقد كبت الفقر (وإن شئت فقل الشعور بالنقص) غريزة التغلب والسيطرة فانكبتت هذه الغريزة القوية العنيفة فأقضت عليه مضجعه وزلزلت أركان حياته، حتى هدته المعرفة إلى ما تعانيه الأمة العربية من آلام القهر والخضوع، فرأى في قهرها صورة لسلطته المقهورة فدفعه هذا التشابه إلى التفكير في الغير بدل التفكير في الذات تخفيفا لألم الكبت. فراح الرصافي بعد هذا الانتقال النفسي يصف ما تلاقي الأمة العربية من ألم الخضوع لظلم المستبدين من الحكام، ومرارة الانقياد لسلطان الجهل وحكم العادات الضارة والتقاليد السقيمة. وهو بهذا إنما يصور رغبته في الحرية الاجتماعية والسياسية، ويضع خطط الوصول إلى هذه الحرية لتطبقها الأمة في نضالها. ومن حسن حظ الأمم المستضعفة أن يكون بين أفرادها أمثال الرصافي ممن كبتت فيهم رغبة الحرية ووهبهم الله قوة البيان سلاحا يقتلون به عدو الأمة وعدوهم. فهؤلاء المكبوتون في الأمم الخاضعة المقهورة

كالحرارة في الأجسام والنور في الظلام والحد القاطع في شفرة الحسام ، أحس الرصافي بالظلم الواقع على الأمة العربية من قبل السلطان عبد الحميد وحكومته المؤلفة من أوباش الناس ، ورأى الخضوع لهذا الظلم باديا على الأمة العربية بدواشانا معيبا وهي الأمة العريقة في الحرية والاستقلال والعزة والكرامة فتأذى بهذا الظلم وبرم بهذا الخضوع فنظم قصيدة سماها « تنبيه النيام » وبدأها بالتساؤل عن الوقت الذي تنتبه فيه الأمة العربية فتدفع عن نفسها الأذى وتسترجع حقها المسلوب ويبدى تعجبه لصبرها على الضيم وبقائها على الظلم .

عجبت لقوم يخضعون لدولة   يسوسهم بالموبقات عميدها
وأعجب من ذا أنهم يرهبونها   وأموالها منهم ومنهم جنودها

ولكن ما قيمة التألم في هذا المرض . فخير منه توجيه الأمة إلى الهدف ، وأى هدف أحلى من الحرية في نظر الأمم المستعبدة

ألا إنما حرية العيش غادة   منى كل نفس وصلها ووفودها
يضيء دجنات الحياة جبينها   وتبدو المعالي حيث أتلع جيدها

أخذ الرصافي يقذف بحممه في وجه الظالم المتربع على العرش ويهدى باقات عواطفه العطرة لأمته الخاضعة فينعشها ويغذيها ويحفزها. حتى حدثت في نجد حوادث دامية بين ابن الرشيد حليف السلطان وابن السعود خصيمه فاهتبل السلطان الفرصة وساق على المتخاصمين جيشاً عربيا من العراق ليفك الخصام في الظاهر وليمين ابن الرشيد على ابن السعود في الباطن فاشتبك الجيش مع المتخاصمين وكلهم عرب ، فجرت الدماء حتى صبغت رمال الصحراء تحقيقا لرغبة السلطان الذي أراد أن يضعف من قوة العرب بقتل زهرات شبابهم من الحاضرة والبادية ويباعد بين صفوفهم بتقوية البغضاء والعداوة بين أمرائهم وقادة الرأى فيهم فقام الرصافي لهذا الحادث وقعد، برق ورعد، ونظم قصيدة سماها « إيقاظ الرقود » خاطب بها العرب ووضع أمامهم ما أراد السلطان بسوق الحملة العربية على الأميرين العربيين في قلب الجزيرة العربية

حكومة شعبنا جارت وصارت   علينا تستبد بما أشارت
فلا أحداً دعته ولا استشارت   وكل حكومة ظلمت وجارت
فبشرها بتمزيق الحدود

ولم ينس الرصافي في هذا الوقت أن يوجه إلى الأميرين المتقاتلين أقسى عبارات اللوم والتعنيف على ما ارتكباه من الأعمال التي تتنافى مع مصلحة الأمة العربية ، وأخذ يتعرض لما أصاب الجنود العرب من قتل وفشل في تلك المعركة المشؤومة وما كان للرصافي أن ينسى عبد الحميد في هذا الوقت وهو منبع الآلام الجسام والمصائب الضخام

أقول وليس بعض القول جدا   لسلطان تجبر واستبدا
تعدى في الأمور وما استعدا   ألا يا أيها الملك المفدى
ومن لولاه لم نك في الوجود
أنم عن أن تسوس الملك طرفا   أقم ما تشتهى زمراً وعزفا
أطل نكر الرعية خل عرفا   سم البلدان مهما شئت خسفا
وأرسل من تشاء إلى اللحود
فدتك الناس من ملك مطاع   أبن ما شئت من طرق ابتداع
ولا تخش الاله ولا تراع   فهل هذى البلاد سوى ضياع
ملكت، أو العباد سوى عبيد
تنعم في قصورك غير دار   أعاش الناس أم هم في بوار
فإنك لم تطالب باعتذار   وهب أن الممالك في دمار
أليس بناء (يلدز) بالمشيد

ظل الرصافي على هذه الحال تغلى عواطفه في صدره بمقاومة الظلم وتطاير قذائف حقده على الاستبداد والخسف ينظم القصيدة في بغداد ويرسلها للنشر في مصر حتى تم الانقلاب العثماني وسقط عبد الحميد عن العرش فصاح بصوت جهوري

قمنا على الملك الجبار نقرعه   بالسيف منصلتا والرمح مهزوزا
حتى تركناه في هيجاء مضلة   ألقت ضراما على الطاغين مأروزا
إنا لنأبى على الطاغى تهضمنا   حتى نحوز في الهيجاء تبريزا
ونأكل الموت دون العز نعشقه   كعشقنا التمر برنيا وسهريزا
لا عاش من لا يخوض الموت مرتضيا   بقاءه بمغنى الذل مركوزا

صاح الرصافي صيحته في وجه الجبار المتهاوى عن العرش والتفت يتغنى بالحرية والعدالة والمساواة ويشيد بذكر الدستور وأبطال الانقلاب غير مفرق بين عنصر وعنصر من مجموع العناصر العثمانية حتى رأى الاتحاديين يبيتون ضد العرب ورأى

من مجالس الأدب

أديب يتعاظم ...!

للأستاذ محمد رجب البيومي

إلى الأستاذ محمد كرد علي

قرأت المقال الذي نشره الأستاذ الحوماني بأحد أعداد الرسالة تحت عنوان « هؤلاء كلاب » فرأيت أن أعرض عليك ما سبق أن قاله أحد أدباء القرن السادس الهجري في زملائه لتكون على بينة من أخباره ، ولن أفترى على الرجل فأنطقه بما لم يقل ، ولكني تقيدت بما روى المؤرخون عنه ، وما أنذا أضع بين يديك المراجع التاريخية ، فأنت رجل معاجم وفهارس وتقبل فائق احترامي م . ر البيومي

(ياقوت الحموي يتوجه إلى مسجد الخضر في آمد ، ويقابل شيخ أدبائها علي بن الحسن بن عنتر بن ثابت الشهير بشميم الحلي ويدور بينهما الحديث التالي)

ياقوت : السلام عليك ياسيدي الجليل

شميم : عليك السلام ورحمة الله ، من أنت؟

ياقوت : أنا ياقوت الحموي جئت إلى آمد اليوم ، فوجدت حديثك على كل لسان ، وسمعت المدح ينثر عليك بدون حساب ، ورأيت أن أحظى بمقابلتك ، وأنهل من معينك الفياض

شميم : كأنك لم تسمع بي إلا حين جئت إلينا اليوم ، مع أن مؤلفاتي العديدة قد تناقلها الناس في الآفاق ، وذاع حديثها في أنحاء حلب وبغداد وخراسان .. !

ياقوت : لا يامولاي فقد سمعت الكثير عن أدبك وإنتاجك ، ولكني حين نزلت آمد ، ولمست إعجاب الناس بك ، تذكرت ما أعرفه عنك ، وهرعت إلى لقائك ، راغباً في الاستفادة والتوجيه !

شميم : إنني كما تعرف ، متنوع الثقافة ، متشعب المعارف ، ففي أي فن تريد أن يجري الحديث ؟

العرب يتنبهون للأمر فيطلبون حقهم في الإصلاح وحقهم في الاستقلال الذاتي فكشر في وجه الاتحاديين وأقبل على العرب يحضهم على طلب الحرية وبذل الثمن لهذه الحرية التي لا تذوق أمة طعم السعادة بدونها ولا يصل إليها شعب إلا بدماء المهج ، فنظم قصيدة سماها (في معرض السيف) يؤيد بها الحركة الإصلاحية في بيروت ويدعو جميع العرب إلى الانضمام إليها

حتى المنى كثغور الغيد تبتسم   إذا تطرقها الصمصامة الخذم
دع الأماني أو رمهن من ظبة   فإنما هن من غير الظبا حلم
والمجد لا يبتنى إلا على أسس   من الحديد وإلا فهو منهدم
والحق لا يجتنى إلا بذي شطب   ماء المنية في غربيه منسجم
فالحسام صليل يرعى شرراً   مفتقاً أذن من في أذنه صمم
وإنما العيش للأقوى فمن ضعفت
أركانه فهو في القانون مخترم
والمجد يأتل حيث البأس يدعمه
حتى إذا زال زال المجد والكرم

ومن حسنات الرصافي الإحاطة بجميع النواحي المهمة من حياة الأمة العربية ولا سيما نواحي الوحدة التي تستمد منها قوتها في نضالها فوجه إلى إخواننا المسيحيين قصيدة عصماء سماها – في سبيل الوطن – أعلن فيها أن عناصر الوحدة بين العرب هي اللغة والوطن والإيمان بالله

إذا جمعتنا وحدة وطنية   فماذا علينا أن تعدد أديان
إذا القوم عمتهم أمور ثلاثة   لسان وأوطان وبالله إيمان
فأي اعتقاد مانع من أخوة   بها قال إنجيل كما قال قرآن

ولنسمع الآن هذه الصيحة القوية المدوية يرسلها الرصافي من أعماق نفسه فترددها نفوس العرب الذين ربط الاتحاد القوي بين قلوبهم

فمن مبلغ الأعداء أن بلادنا   مآسد لم يطرق ذراهن سرحان
وإنا إذا ما الشر أبدى نيوبه   رددناه عنا بالظبا وهو خزيان
سنستصرخ الآساد من كل مربض   فنمشي إلى الهيجاء شيباً وشبان
أسود وغى تأبى الحياة ذميمة   وتلبس بالعز الردى وهو أكفان
ومقاحيم تصلى الصمصام مشيمة   إذا احتدمت في حومة الحرب نيران
وتكسو المراء الرحب مسح عجاجة   يعج بها السيف الردى وهو عريان
سننهض للمجد المخلد نهضة   تقربها حوران عيناً ولبنان
وتنثر من أرض الشام دمشقها   وتهتز من أرض العراقين بغدان
وتطرب في البيت المقدس صخرة   وترتاح في البيت المحرم أركان
ونحن للعرب الكرام مواقب   فيحمدها مفت ويشكر مطران

عمري الحسيني

ياقوت : لقد شغفت بالأدب ورواية الشعر والتاريخ وإنى لأرجو أن أنعم لديك الدليل

شميم : أنظر أمامك ، فهذا ديوان ضخم ملئ بالكتب الأدبية التى ألفتها من دا كرتى دون أن أستعين بمؤلفات أحد ، فهل شاهدت فى رحلاتك السهربة من له هذا القدر من التأليف ؟

— هذا مجهود كبير يامولاى ، ولكنه غير مستغرب من أديب كبير عكف على الأدب والشعر حقبة من الزمن ، وإملك تخبرنى عن طريقتك فى التأليف ، وكيف تختار المواضيع التى تدبج فيها القول ، حتى اتفق لك هذا التراث الثمين

— أنا لا أطرق الأبحاث الهينة المريحة ، التى يعمد إليها جمهرة المؤلفين ، ولكنى أعمد إلى المعجز المعمى من آثار السابقين فأعارضه بما أراه ، فتكون معارضتى ماحقة ساحقة ، وأنت تعلم ما ذاع عنى من القدرة والإبداع ! !

— لقد قرأت بعض معارضاتك ، ولكن اختلاف الأيام قد أفسد الذاكرة وشتت الانتباه ، فهل لى أن أعرف منك من عارضتهم من البلغاء لأسجل ذلك فيما بين يدى من أوراق

— لقد رأيت الناس يعجبون بأبى تمام وهو حقير تدم ، إذا قيس بى ، سمعت بعض الثناء على حماسته التى جمعها من أشعار الناس ، فأردت أن أخله بحماسة جمعتها من شعرى الخاص ، ولم أستجد الشعراء الآخرين كما فعل ابن أوس الذليل ، فجاءت حماستى ضرباً من السحر الحلال

— هل لك أن تسمعنى بعض خرائدها الجياد ؟

— حماستى مشهورة معروفة فسل عنها الناس ، وأظنك ستتجاوز حدود الأدب فى السؤال !

— معاذ الله أن أتجاوز الحد معك أيها السيد الجليل ، ولكنى ظامئ إلى المعرفة والعلم ، وقد قدمت بلدتك من أجلك وحدك ، فكيف أخرج منها خالى الوفاض؟

— أعرف عاماً أنك جئت إلى آمد لتزورنى ، فليس بها من تشد إليه الرحال سواى ، وإن أسد فى وجهك الطريق فسلنى عما تشاء

— سأترك الكلام فى أبى تمام كيلا تغضب على ، وأحب أن أسألك عمن عارضتهم من الشعراء سواه

— لقد عارضت الكثيرين غير حبيب ، فأبو نواس قد نظم فى الصهباء قصائد عامرة سارت مسير الشمس ، وظن الناس أنه لم يدع شيئاً لغيره ، فتصديت له معارضاً ، وأسقطت معجزته من يده ، ونظمت فى الخمر عقوداً بديعة ، تحلى بها الرقاق ، فلو عاش ابن هانىء لاستحيا أن ينظم شعراً بعد الآن

— أخاف أن تتهمنى بفساد الذوق ، إذا طلبت بعض خمرياتك أيها الطائر الصداح

— لن أقول لك شيئاً بفمى ، فأنا أعظم من أن أنشد الناس ، ولكن خذ هذه الصحيفة واقرأ ما بها من الخمريات

ياقوت يتناول الصحيفة ويقرأ

أمزج بعبوك اللجين ذهباً حكته دموع عينى

كانت ولم يقدر لشى • قبلها إيجاب كونى

وأحالها التحريم لما شبهت بدم الحسين

يقاطعه شميم فيقول :

— مارأيك فى هذا القريض ؟

— أحسنت يامولاى غاية الإحسان !

— (فى انفعال) ما عندك غير الاستحسان ! ! تباً لهذا الزمن الجاحد أنا مخطئ إذ أسمع البهائم أشعارى الجياد

— معذرة أيها السيد ، فقد اعتدت أن أقول لمن ينشئ الشعر الجيد ، أحسنت ، وهأنذا قد قلت ، فماذا أصنع لأعبر عن إعجابى بشعر مولاى

— نعم تقوم وتصنع مثل ما أصنع ، » ثم يقوم من مكانه ويدور فى المسجد ويصفق فى تيه وإعجاب «

— لقد تعلمت منك ما يجب أن يصنعه المستحسن ! ! ولكن الضحك يأخذ على سبيل الكلام ، فهل أضحك يامولاى

— لم تضحك أيها الأحمق فى مجلسى الوقور ؟

— كنت سمعت عنك نادرة ظننتها مختلقة عليك ، وهأنذا أصدقها الآن

— ماهى النادرة ياجنون ! !

— حدثنى أبو البركات سعيد الهاشمى أنك جئت قديماً إلى حلب ، فقدم عليك فى ملأ من صحبه ، فأنشدتهم بعض قصائدك فاستحسنوها غاية الاستحسان ، فغضبت كثيراً ، وقمت إلى أحد أركان المنزل ، ونمت على ظهرك ثم رفعت رجليك إلى الحائط ولم تزل ترتفع شيئاً فشيئاً حتى وقفت على رأسك • وقلت هكذا نشكر النعمة ، بأن يقف الإنسان على رأسه لا على قدميه ،

وأمرت الحاضرين بأن يصنعوا ما صنعت ! !

— نعم فعلت ذلك لأفهمهم طريقة الاستحسان .. ثم ماهي المناسبة التي حملت أبا البركات الحقير يحدثك بهذه النادرة ، وقد طمسها الزمان

— لقد كنا بحلب ، ومرت بعض الجنائز ، وبها نسوة يلطمن الوجوه ، وينحن بكلمات حزينة ، ويأتين بحركات عجيبة ، فقال القوم : إن هذه الحركات منقولة عن مولاى ، وإن نواح النائحات قد ألفه سيدى تميم ! ! وخاض الناس في غرائبك البديعة فذكر أبو البركات نادرته عنك ، وهي تحفة بديعة ستدور بها الأسمار !

— هذا الكلب صادق فيما قال ، وقد نسى أن يسمعك النواح العجيب الذي صنعته واخترت له رويا محكما ووزناً مرناً ، وإذا رجعت إلى حلب مرة ثانية فسل عنه الأدباء

— أعجب كيف شغلت نفسك بالنادبات النائحات وأنت غارق في أبحاثك دون أن تجد الوقت لهؤلاء !

— لقد كنت مع تلاميذي ذات صباح بحلب ، فمرت بنا جنازة يندب فيها النساء في غير حرارة وحسرة ، كما يجب أن يكون ، فأخذتني الحمية ، وأمرت من معي من التلاميذ ، فوقفوا صفين حولي ، ولطمت خدي ، فلطموا خدودهم مثلي ، ووضعت نواحاً يرتلونه فأذن الله وتناقلته النادبات في جميع البلاد !

— أنت يامولاى مبدع في كل أمورك ، وأخشى أن يبتعد بنا الحديث عن الأدب والشعر ، فهل تكمل حديثك مع أبي نواس ؟

— إن فضلى على هذا الكلب واضح بين ، فإني لم أذق الخمر طيلة حياتي ، ووصفتها بما أعجز المدمنين العشاق ، أما اللعين أبو نواس فقد عب من الخمر دناناً مترعات ، وكان شعره هراء بدداً إذا قيس بشعرى الممتاز

— إذا كنت لا تشرب الخمر ، وأجدت فيها القول ، فكيف بك لو تكلمت في الزهد والحكمة كأبي العلاء ، مع أنك اصطليت بنار الزهد والحكمة من ضرام .

— من ذلك الكلب الأعمى الذي تذكره في مجلسي الآن ، إن المعرى لايوزن بنعلى ، فكيف تطمع أن أعارضه بشعرى الخلاب !

ياقوت مندهشاً :

المعرى كلب حقير ! سبحان الله يامولاى ! لقد ذكرتني بأبي نزار ، ملك النحاة

— هذه جرعة ثانية ، إذ كيف أذكر برجل كل صناعته النحو ، أما أنا فكاتب شاعر راوية إخباري محدث لغوى مؤرخ !

هل عزب عنك عقلك يامجنون ؟

— ذكرتني به لشيء واحد يامولاى ، فقد كان لايذكر أمامه نحوى مثله إلا قال عنه ما قلت في أبي العلاء ، وقد خاض ذات يوم في ذكر زملائه النحاة فجعلهم جميعاً كلاباً ، فقال له بعض الحاضرين : إذن أنت ملك الكلاب لا النحاة ، فكأنما ألقم بحجر فاه !

— ملك النحاة معذور في سبه الناس ، فقد ابتلى بمخالطة الأوشاب والرعاع فوصفهم بما يستحقون .. دعنا منه ، وتكلم فيما جئت من أجله دون انتظار

لم أجئ إلا لأسألك عن مؤلفاتك ، وقد ذكرت لى معارضتك لأبي تمام وأبي نواس ، فمن غيرهما من الذين نكبوا بمعارضتك على غير ميعاد

— لقد رأيت استحسان الناس لجناس البستى ، فألفت كتاباً في التجنيس ، أسميته «أنيس الجليس» وخذ هذه الصحيفة واقرأ ما يقع عليه بصرك دون اختيار

(يتناول ياقوت الصحيفة ويقرأ)

ليت من طول بالشـــام ثواه وثوى به !
جمـــل المودة للزو راه من بعض ثوابه
يقاطعه تميم ويصيح : اسجد الآن، اسجد الآن !

— لماذا أسجد يامولاى ؟

— هذا موضع من مواضع السجدات في الشعر ، وأنا أعرف الناس بتلك المواضع فلا تخالف أمر مولاك

يسجد ياقوت ثم يلقى الصحيفة ويسأل :

— ومن غير أبي تمام وأبي نواس وأبي الفتح البستى قد نكب بمعارضتك أيها السيد الجليل ؟

— هل سمعت الخطباء يرددون على المنابر خطب ابن نباتة في دمشق وحلب وبغداد ؟

— نعم يامولاى

— لقد عارضت هذا المتشدق بخطب قوية مدهشة ، فليس

للناس حديث غيرها الآن

— معذرة! فلم أحفظ أسماءها، ولعل لديك سفراً يجمعها وأسعد بقراءته ردحاً من الزمان

يمد شميم يده ويعطيه ديوان الخطب، فيقرأ ما وقعت عليه عينه ويسمع صاحبه قوله:

الحمد لله فالق حب الحصيد بحسام سح السحب، صادع حد الأرض بقساطى رشيق المشب، محيي ميت الأرض بإبانة كالح الجدب، لابتسام ثغر نسيم أنفاح العصب، أحمده على ما منح من موضح بيان ما ألب في سوداء لب »

ويلاحظ شميم تلكؤ ياقوت في القراءة فيصيح منفعلا

— ما للبهائم والأدب؟ دع السفر أيها الأعجم البليد، هل مررت على الموصل فأخذت منها البلادة والغباء؟

— معذرة يامولاي، فقد ثقلت التراكيب، ولم يجد اللسان نافذة للاسترواح فتعثر به المنطق … وضل الإجادة في الإلقاء

— قلت لك هل مررت على الموصل فأخذت منها الفهاهة والبلادة؟ فلم أظفر بجواب!

— أنا مضطر لمخالفتك الرأي في أهل الموصل فهم كما أعتقد، ألبة أذكياء

— وما معرفتك بالذكاء واللب؟ لقد ناقشتهم وخبرتهم، فعجبت كيف خلقهم الله، والله لو قدرت على خلق مثلهم ما خلقتهم على الإطلاق

— المرة الثانية تذكرني بأبي نزار ملك النحاة!

— ولأي شيء ذكرتك به الآن؟

— أنت تسب أهل الموصل، وهو يسب أهل الشام، وكلاكما لا يعترف بإنسان، فجميع الناس كلاب وعاع …

— لي العذر إن شتمت جميع الناس، فهم لا يفرقون بين الدر والبعر، وملك النحاة معذور أيضاً، وإن كان يخاف الناس فلا يجاهر بسبهم كما أفعل الآن

— هو يجاهر مثلك يامولاي، وقصته مع نور الدين زنكي قد عرفها كل إنسان يقطن بلاد الشام!

— لم أشغل ذهني قبل الآن بأبي نزار فأعرف قصته مع نور الدين، ومع ذلك فاسردها على بإيجاز

— لقد خلع نور الدين عليه حلة سنية، ومر في طريقه فرأى حلقة بها تيس يدربه إنسان، فقال المدرب لتيسه، إن بحلقتي رجلا عظيم الشأن نابه الذكر، فأين مكانه، فشق الحيوان الحلقة ووضع يده على ملك النحاة، فلم يتمالك نفسه وخلع عليه حلة نور الدين، وعلم الملك فعاتبه، فقال ملك النحاة، إن بهذه المدينة أكثر من مائة ألف تيس فما عرف قدري غير هذا الحيوان فخلعت الحلة عليه في ارتياح

— أصاب ملك النحاة، فأهل الموصل كأهل الشام في الدناءة والحماقة، وقد كنت أشرح لهم القاعدة العلمية، وأقرأ النص الأدبي موضحاً محللا فما يستفيدون شيئاً مني، فمن ذا يلومنا على احتقار الدهماء!

— كلامك رفيع يامولاي، فالموصليون معذورون إذا لم يفهموه

— اسمع يابني ليس في الوجود إلا خالقان، فواحد في الأرض وواحد في السماء، فالله في السماء، وأنا في الأرض كما تراني الآن

ياقوت ينظر إليه مندهشاً

شميم: هذا كلام لا تفهمه أنت ولا العامة، ولكنك لا تنكر مقدرتي على خلق الكلام

— اعفني من هذا الحديث يامولاي، فلست من علماء التوحيد فأعلم من الذي يخلق الكلام؟

— إذا لم تسر المناقشة كما أريد فلن أتحدث معك في علوم الأدب على الإطلاق!

— لن نتحدث في الأدب كما تريد يا مولاي، وسأسألك سؤالا يتعلق بك، فأنا رجل محدث، وإن لم تكن بالمحدث جرأة مات بغصته، فهل تأذن بالجواب؟

— اذكر السؤال أولا ولى الحق في قبوله أو رفضه كما أشاء

— لم سماك الناس « شميما » مع أن اسمك الحقيق على يامولاي؟

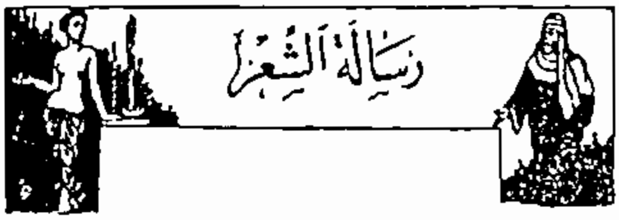
— لقد مكثت مدة من عمري لا آكل غير الطايب، لأخفف الرطوبة، وأقوى الذاكرة، وكان الغائط يمتنع عنى بضعة أيام، فإذا جاءني كان أشبه ببندقة من الطين، فكنت آخذه وأقول لمن يجلس معي « شمه، شمه » فإن له رائحة طيبة، فكثر ذلك حتى غلب على ولقبني الناس بشميم

— حسبك يا مولاي، فأنا أريد أن أسجل جميع ما سمعته منك، ولو طال بنا الحديث لعجزت عن حصره، وستكون تسميتك هذه مسك الختام

— لقد أمتعتك بحديثي، وهو لا يباح لكثير من الناس، فاشكر ربك على فضله، فالأمر كما قال أبو العلاء

وكم عين تؤمل أن تراني وتفقد عند رؤيتي السوادا

« المنصورة » محمد رجب البيومي



من أغبار باريس :

أشواق . . .

للأستاذ عبد القادر رشيد الناصري

يا « مناى » ليلنا خمر وزهر وغرام
وطيوب تشمل الروحان منها وهيام
ونشيد كلما غنى به المشاق هاموا
ولواء رف بالرفق على الناس فناموا

* * *

فاقبلى كالطيب كالأنسام فى الروض الأغن
واستظلى بجناحى وتاهى بين جفنى
واحلمى يا فرحتى الكبرى بحبى المطمئن
هل سوى ذاتك ذاتى، هل سوى لحنك لحنى

* * *

سائلى النسمة هل مرت على شىء عدانا
وهل البلبل فوق الأيك غنى لسوانا
وهل الوردة فاحت بالشذى لولا هوانا
نحن لو تدرين نجوى والأغاريد صدانا

* * *

أين من « باريس » ليلات كنسيان ندية
وسويعات لقاء فى مغانى الأعظميه[1]
إذ طويناها كما شاء لنا الحب سويه
أترى ترجع أطياف هوانا الذهبيه

* * *

أترى مجلسنا الضاحك فى « الكرخ » يعود
مثلما كان وتزهو عند لقيانا الورود
نشتكى لليل، والشهب على الشكوى شهود
أم ترى نبقى « بباريس » ويطوينا الوجود

* * *

أترى تبصر عيناى « ببغداد » النخيلا
وسنا « دجلة » والملاح يشدو والأصيلا
ومرى زورقنا المسحور والأفق الجميلا
والنسيم الطلق إذ يهفو على الشط بليلا

* * *

والعذارى آه ما أحلى « ببغداد » العذارى
كل حسناء كأيار بهاء وازدهارا
كلما أقبلن يملأن من النهر الجرارا
خلت سربا من فراش طاف بالروض وطارا

* * *

يا لياليها بوادى السحر عودى يا ليالى
وأعيدى ذكريات الأمس فى وادى الجمال
حين رف الحب بالنجوى على ثغر الهلال
وعلى الزورق قلبان كأطياف الليالى

* * *

يا صدى أنشودة القلب ويا بكر هوايا
أنا لولاك لما باحت بحب شفتايا
ولما غرد قلب هو فى الصدر بقايا
أنت دنياى ولولاك لضاقت بالرزايا

* * *

آه يا أشهى أمانى ويا أجمل عمرى
يا نسيما خضل الأنداء قد أنعش زهرى
وضياء لاح فى ليل صباباتى كفجر
لم تكن دنياى لولاك سوى ظلمة قبر

* * *

بغداد عبد القادر رشيد الناصرى

١ - الأعظمية من أجمل نواحي بغداد

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوي

فوضى علمية لأستاذ جامعي :

أعتقد أن هذه الكلمة ، تحت هذا العنوان ، ستدفع فريقاً من القراء إلى أن يقول لي : ترفق .. ترفق بالدكتور عبدالرحمن بدوي لأنه « فيلسوف » مصر الأول ، و « أستاذ » الفلسفة بجامعة إبرهيم ، وصاحب الإنتاج الفكري — معذرة فلعل المقصود هو الإنتاج الطبعي — الذي يربى على الثلاثين كتاباً !

صيحة أتوقعها قبل أن أسمعها .. ولولا أنني أعرف الدكتور بدوي حق المعرفة ، من خلال صحبته ، ومن ثنايا كتبه ، ومن حقيقة لقبه — أعني فيلسوف مصر الأول — لولا أنني أعرفه على ضوء هذا كله ، لما تجاوزت الصيحة المنتظرة ومضيت في الطريق إلى نهايته !

لقد كان من المعقول أن أترفق بالدكتور بدوي لو أنه ترفق باللقب الخطير الذي أضفى عليه ، وترفق بالأستاذية الجامعية التي هيئت له ، وترفق بالقيم الفكرية التي احتمى بها أو احتمت به ، وترفق بعقلي وعقلك وهو يريد أن يزاحم المنتجين في كل ميدان .. لو أنه ترفق بهذه الأمور جميعاً لرجعت إلى قلمي أسأله شيئاً من الرفق ، أو شيئاً من الصفح ، أو شيئاً من الأناة !

لقد حاول الأستاذ أن يكون فيلسوفاً بالقوة ، وحاول أن يكون أديباً بالقوة ، وحاول أن يكون قصاصاً بالقوة ، وحاول أن يكون شاعراً بالقوة ، ، وحاول أن يكون ناشر مخطوطات ومحقق نصوص بالقوة . وقد تفلح القوة في الشئون السياسية والدولية ، ولكنها — وهذا ما أود أن يفهمه الدكتور بدوي — لا تفلح في الشئون الفكرية والفنية ! صدقني أنني معجب به كل الإعجاب لأنه مؤمن بنفسه إلى أبعد حدود الإيمان ، حتى ليكرهها على مالا تحسن ومالا تطيق : يكرهها على فهم الفلسفة ، ويكرهها على هضم الأدب ، ويكرهها على نظم الشعر ، ويكرهها على كتابة القصة ، ويكرهها آخر الأمر على نشر المخطوطات وتحقيق النصوص . أرأيت إيماناً بالنفس يبلغ عند الموهوبين ما بلغه عند هذا المصري النابغ الموهوب ؟ ألم أقل لك إنني معجب كل الإعجاب بهؤلاء المؤمنين بأنفسهم ، حتى ولو أكرهوها إكراهاً على أن تطرق كل باب ، وأرغموها إرغاماً على أن تخوض في كل فن ، وأجبروها إجباراً على أن تحلق في كل أفق ؟!

يخيل إلي أنني مقصر في حق النقد ومهمل لرسالته . ولو لم أكن مقصراً ومهملا لتناولت قلمي منذ أمد بعيد لأحاسب الدكتور بدوي .. يخيل إلي هذا ، ولكنني أعود إلى نفسي فألتمس لها شيئاً من العذر ، حين أنظر إلى الميدان فأجده قد خلا من النقاد . ترى هل يستطيع ناقد واحد أن يحاسب هذا العدد الضخم من المنتجين ؟ وكيف أستطيع أن أحاسبهم جميعاً وفيهم من أحال الإنتاج « المطبعي » إلى معمل من معامل التفريخ ؟!

إن إنتاج الدكتور بدوي وحده جدير بأن يشغل جيشاً من النقاد لا يهدأ ولا يستقر ، ولكن أين هو هذا الجيش ؟ أين الفصيلة التي تحارب الدكتور بدوي في جبهة الفلسفة ، وأين الفصيلة الثانية التي تحاربه في جبهة الأدب ، وأين الفصيلة الثالثة التي تحاربه في جبهة الشعر ، وأين الفصيلة الرابعة التي تحاربه في جبهة القصة ، وأين الفصيلة الخامسة التي تحاربه في جبهة التحقيق العلمي .. وأين الفصائل الأخرى التي تحاربه فيما يستجد بعد ذلك من جبهات ؟ لقد تصدى له صديقنا سيد قطب — جزاه الله خيراً — في الجبهة الثالثة يوم أن اجترأ على أن يصدر ديوانه الخالد « مرآة نفسي » ، ومع أن طعنات صديقنا الأستاذ قطب كانت قاتلة ، إلا أنها كانت طعنات مهاجم واحد في ميدان يحتاج إلى فصيلة من المهاجمين .. إذا لم تصدق فاعلم أن الدكتور بدوي قد شرع في إخراج ديوان جديد ، ديوان أسأل الله أن يعينني على لقائه !!

مهاجم واحد بالأمس في جبهة الشعر هو سيد قطب ، واليوم يظهر في الأفق مهاجم آخر هو سيد صقر . ما أعجب التشابه بين الاسمين وما أبعد الفارق بين الجبهتين .. إن الجبهة التي يهاجم فيها صديقنا الأستاذ صقر جبهة جديدة ، فتحها الدكتور بدوي

وهو أقدر القادرين على فتح الجبهات ، لأنه أقدر القادرين على ادعاء المواهب والملكات . . أما رحى المركة فتدور على صفحات زميلتنا مجلة « الثقافة » . هناك حيث حطر للدكتور بدوى أن يحقق « الإشارات الإلهية » لأبى حيان التوحيدى !

إلى هنا وأقف قليلا لأحدثك عن هذه الفضيحة العلمية التى ارتكبها الدكتور بدوى ، وكشف عنها الغطاء صديقنا الأستاذ السيد أحمد صقر جزاه الله . . لقد نشر المقال الأول فى العدد الأسبق من « الثقافة » ولن يصل هـذا العدد من « الرسالة » إلى أيدى القراء حتى يكون المقال الثانى قد خرج إلى النور . . ليهتك حجب الظلام ! ولن يقتصر الأمر على هذين المقالين ، فلابد من مقال ثالث ورابع وخامس ، لقاء ما بذل الدكتور بدوى من جهد فى تشويه سمعة أبى حيان ، وتشويه سمعة نفسه ، وتشويه سمعة التحقيق العلمى فى مصر ! !

إن ما نشر من سقطات الدكتور بدوى كان أهون مافى الكتاب ، وما بقى كان أدهى . . واستمع لفصول القصة :

فى مساء الإثنين الماضى كنت وحيداً فى بيتى ، أتأهب للخروج ولا أعرف إلى أين ، فقد كان كل همى أن أطلق النفس من قيود الأسر ، أسر القلم والكتب والجدران . . وفجأة هبط على زائر كريم لم أكن أتوقع زيارته ، لأنه كان معى قبل ذلك بيوم واحد ، هناك على صفحات مجلة « الثقافة » . وحين راحت يده اليمنى تصافحنى كانت يده اليسرى تصافح أبا حيان ، أعنى تصفح كتابه المفترى عليه : الإشارات الإلهية !

وقلت للأستاذ السيد احمد صقر بعد أن استقر به المقام : معذرة فليس لدى تليفون حتى أدعو الأدباء من أعضاء ندوتنا الأدبية إلى الإجتماع فى بيتى . تعال نذهب إلى مكاننا المختار حيث ندعوهم من هناك ، فما أحوجك إلى كثير من الشهود المستمعين لدفاعك عن كرامة التحقيق العلمى فى مصر ! . . . والتأم شمل الندوة بعد دقائق ، فكان فيها إلى جانب الشعراء والأدباء ، بعض الأساتذة من جامعتى فؤاد وإبرهيم . وبدأ الأستاذ صقر يقرأ على الآذان المرهفة مقاله الأول الذى نشر فى « الثقافة » ، وحين انتهى منه ، مضى يقلب صفحات الكتاب الذى « حققه » الدكتور بدوى وقدم له ، واقفاً عند كل صفحة ، مشيراً إلى كل سقطة ، لافتاً إلى كل تشويه ، ممرجاً على كل تحريف !

أقسم لقد ضحكنا حتى اهتزت تحتنا المقاعد من كثرة الضحك ، ودهشنا حتى عقدت الدهشة منا كل لسان ، وأسفنا حتى ارتسمت معالم الأسف على قسمات الوجوه ونظرات العيون . . وقال أستاذ جامعى طلب إلى ألا أذكر اسمه لأنه صديق للدكتور بدوى وزميل له فى جامعة إبراهيم : « هذه فضيحة من طراز فذ ليس له نظير . إن مصيبة الدكتور بدوى أنه لا يتأنى فى إخراج كتبه ، لأنه مولع بأن يكون له فى السوق أضخم إنتاج بين المعاصرين . . هل المسألة مسألة كم أم مسألة كيف ؟ أظن أن الجامعيين يجب أن يهتموا بالجانب الأخير » !

وعقب الأستاذ صقر غاضباً وهو يوجه إلى الحديث : لو كنتم يا حضرات النقاد تحاسبون هؤلاء الناس لما حدث الذى حدث . . إنكم تتحدثون عن أزمة القراء ، ناسين أن إنتاجاً من هذا الطراز هو العامل الأول من عوامل الأزمة ، أو هو العنصر الخطير من عناصر المشكلة . إن القراء معذورون إذا انصرفوا عن القراءة وشغلوا عن ثمرات المطابع ، ما دام أكثر الكتاب فى مصر يلتمسون الشهرة عن طريق القيمة « المددية » للآثار الفكرية !

وقلت للأستاذ صقر وعلى شفتى طيف ابتسامة : هذا صحيح ! ولكن من هم « حضرات » النقاد ياصديقى ؟ ترى هل تخاطبنى بصيغة الجمع توقيراً لى ، أم تقصد إلى أن فى البلد نقاداً كثيرين يستحقون اللوم والتأنيب ؟ إذا كنت ترمى إلى التوقير فأنا أشكرك ، أما إذا كنت ترمى إلى كثرة النقاد فإنى أعترض عليك . . أين هم النقاد فى مصر ؟ إننى أكاد أقف وحدى فى ميدان النقد ، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها ! ثم هل وجهت شيئاً من لومك إلى حضرات الأساتذة الجامعيين الذين يجلسون بيننا فى هذه الندوة ؟ لماذا لا يمتشق أحدهم قلمه ليحاسب زميلا له على هذه الفضيحة العلمية التى تسىء إلى الجامعة ؟ مهما يكن من شىء فأنا أعدك بأن أكتب فى الموضوع على صفحات « الرسالة » !

وقال أحد الجالسين من الأدباء وهو يريد أن يطمئن : من أى زاوية ستتناول الموضوع ؟ هل ستشير فى « الرسالة » إلى بعض ما كشف عنه الأستاذ صقر فى « الثقافة » ، أم أنك ستتحدث عن أزمة القراءة مرة أخرى لتنصف القراء ؟!

وأجيب وأنا أدرك هدف اللفتة البارعة : بالطبع سأشير هنا إلى مقالات الأستاذ هناك، وسأطلب إلى قراء « الرسالة » باسم الحق والكرامة العقلية وأمانة البحث والاطلاع، أن يتابعوا الأستاذ صقر في « الثقافة » ليطمئنوا إلى أنني لم أكن غالياً في كل هذا الذي كتبت، وليدركوا أن أثر هذه الفضيحة العلمية في ميزان الضمير العلمي، لا يقل عن أثر أي فضيحة أخرى كفضيحة تحقيقات الجيش مثلاً في الضمير الاجتماعي . . أما القراء فلا بأس من أن أعفيهم بعض الإعفاء من تحمل التبعة، ما دام الدكتور بدوي وأمثاله في الميدان !

وقال الأستاذ صقر وهو يدفع إلى بكتاب « الإشارات الإلهية » : إن للكتاب مقدمة لا تدخل في حدود علمي ولكنها تدخل في حدود علمك . . إنها محاولة « رائعة » يثبت بها الدكتور بدوي أن أبا حيان كان أديبا وجوديا لا يقل أصالة في نزعته الوجودية عن الأديب الألماني فرانز كفكا ! . . إنني أترك لك هذه المقدمة لتناقشها على صفحات « الرسالة » ، وسأدفعك إلى ذلك دفعاً حين أوجه إليك هـــــذه الرغبة على صفحات « الثقافة » . . إقرأ يا صديق اقرأ ، واشكرني على أن قدمت إليك منبعاً من منابع الإضحاك !

وتناولت الكتاب ورحت أقرأ هذه المقدمة العجيبة حقا . . تقولون إن نجيب الريحاني الذي كان نابغة عصره في إضحاك الناس قد مات، دون أن يملأ مكانه أحد ؟! مهلا أيها المتشائمون . . لقد أثبت الدكتور بدوي أن نجيب الريحاني لم يمت، وإذا كان، فقد ملء مكانه بجدارة ! أثبت ذلك في تحقيقه لمخطوط أبي حيان عن « الإشارات الإلهية » ، وفي مقدمته التي ذهب فيها إلى أن أبا حيان كان صاحب نزعة وجودية . . وبقى أن ينتهي الأستاذ صقر من مقالاته، لينتظرني الدكتور بدوي في هذا المكان !

برناردشو ورسالة المال :

في عدد قريب من الرسالة الغراء ، وضعت لنا في ميزانك الدقيق الأنيق، وعلى أضواء عقلك المفتش وأشعة ذهنك الوهاج الكاتب الأيرلندي العالمي جورج برناردشو ، فأدركنا ألمع اللافتات في فن هذا الكاتب العظيم . . لافتة العقل الساخر .

وعرفنا أنها « الإطار الطبيعي الذي يحيط بكل صورة من صور هـذه الحياة ، ونقطة الارتكاز التي يلتقي عندها خط الاتجاه النفسي الممتد من هنا وخط الاتجاه الفكري المنطلق من هناك »

غير أني وقفت طويلا يساورني الشك ويتوزعني الارتياب ، عند نقطة قلت أمل من الخير أن أرجع إليك متسائلا ومستعيداً من تلك الجواب . . لقد قلت إن شوكان يمتدح الشيوعية الروسية ويمدح قطبها الأكبر ستالين بأنه خير الناس ، ثم تساءلت : ترى هل كان شو يؤمن بهذا الرأي الذي يجهر به ، أم أن سخطه على الرأسمالية عامة وعلى الإنجليز خاصة ، هو الذي كان ينطقه بغير ما يعتقد ويظهره بغير ما يريد ؟ ثم أجبت بقولك : الحق أنه السخط من جهة — وتقصد السخط على الرأسمالية طبعا — والإيمان بالرأي من جهة أخرى !

ولكن ، هل كان شو يا سيدي ساخطا حقا على الرأسمالية ، غير مؤمن باستحواذ المال ؟ إن الأستاذ العقاد يؤكد لنا في كتابه الصغير عن برناردشو ، أنه كان مؤمنا برسالة المال في حياة الآحاد وحياة الجماعات (ص ١١٤) ، وقال إنه لا يكتم هواه للمال وحبه للاستزادة منه ما استطاع (ص ٢٥) ، ثم يحدثنا العقاد عما كان يجذب شو نحو الاشتراكية فيقول : كان يجذبه إليها « فقره » وغرده على النظم القائمة وشأنه الايرلندية التي تهم منها الثورة على الاستعمار والاستغلال ، فكان انضواؤه إلى جماعة الفابيين (ص٢٧) فإذا أردنا تفسير كلمة «فقره» وجدناها لا تعني سخطه على الرأسمالية، يؤيد ذلك قول شو نفسه: لا تخاطبن كرهك لزيادة جارك في الغنى وكرهك للفاقة . . فكأنه يقول : لتكره الفاقة ما استطعت ولتحاربها بالجهد في كسب المال، ولكن لا تكره الأغنياء لأنك فقير ، كأنه يقول ذلك

من هذا يا سيدي أردت المزيد من الوضوح ، ولعل في تعبيرك السابق معنى آخر تكمن فيه الحقيقة دون أن أفطن إليه، وقد استدق على فهمه واستجلاؤه . . وتقبل أخلص تحيات المعجب:

(السويس) **محمد محمد عبد الرحيم**

الأديب الفاضل صاحب هذه الرسالة تاجر من تجار السويس ومع ذلك فهو يقرأ « الرسالة » ، ويناقش في الأدب ، ويقتطع من وقته لحظات ثمينة يقضيها في صحبة الأدباء . . من حقه على

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

البعث العربي الجديد :

قضيت الأسبوع الماضي وبعض هذا الأسبوع ، حبيس الدار لرمد في عيني ، وما أريد أن أتحدث عن مرضي وما نالني منه ، إن أريد إلا أن أطلق بخار الطاقة المحبوس في نفسي ، فقد كنت طيلة هذه المدة كالجواد العربي الذي شد لجامه وهو يطلب . . يريد أن ينطلق .. أريد أن أعدو وأروح وأذهب وأجيء وأقرأ وأكتب ، ما لي عيش بغير هذا ، ولن يطيب لي القعود .

وكان أكبر أسفي لتلك الحبسة أن منعتني من المشاركة في ذلك النشاط العربي الذي دب في نواح من القاهرة ، في جمعية الوحدة العربية ، وفي الاتحاد العربي ، وقد تلقيت دعوتين كريمتين ، الأولى من « جمعية الوحدة العربية » لسماع المحاضرة التي ألقاها في نادي الجمعية يوم الخميس الماضي الأستاذ محمد توفيق دياب بك عن « التربية الوطنية في العالم العربي » والثانية من « الاتحاد العربي » لسماع محاضرة الأستاذ أحمد رمزي بك من « العلاقات الاقتصادية بين البلاد العربية » .

كنت أود أن أذهب لأسمع ، ثم آتي لألخص هنا ما سمعت ، وقد أعقب عليه وأضيف إليه ما يعن لي في هذه المشاكل التي تشغل منا القلوب والخواطر . ولكن ، إن كنت قد تألمت من القعود عن ذلك ، فقد سرني بعض ما نشر عنه من ذلك الذي كان يقرأ لي .. وذلك ماحدث في جمعية الوحدة العربية عقب محاضرة الأستاذ توفيق دياب بك ، إذ وقف الأستاذ أسعد داغر السكرتير العام للجمعية، فقال: تلقيت من بضعة أيام الرسالة التالية من أحد الوطنيين العرب أقتطف منها ما يأتي : « كان لحديثكم بشأن المشروع الجديد لانشاء جريدة كبرى تكون صوتا للبعث العربي ، صدى عظيم في نفسي ، لأن هذا الصوت العربي الجديد لا يقبل أن ينام على الضيم ، العربي الذي يشعر بألم الطعنة التي أصابته في عزته وكرامته يحاول الآن أن ينهض ليستعيد قوته الكاملة ويسترد مجده المسلوب . تجدون طيه شيكا بمبلغ عشرة آلاف جنيه ، وسأقدم لكم خلال الأسابيع المقبلة مبلغاً آخر مثله أو أكثر إذا لزم ، وقد أحببت أن أترك لغيري من المخلصين الفرصة لنيل شرف المساهمة في هذا المشروع الجليل »

البعث العربي الجديد ، وعشرة آلاف جنيه يبذلها عربي كريم لمشروع في تعزيز هذا البعث - إنه شيء عظيم ، أرجو إنه يكون أول الغيث

إنني لم أيأس ولن أيأس ، من هذه الأمة العربية ، بل أقول إن شيء يدعو إلى التفاؤل ، وكل ما منيت به إنما هو سحب لابد أن تنقشع . لقد كنا قبل مايو سنة ١٩٤٨ لا شيء ، ثم صرنا بعد ذلك شيئا .. لم نكن قبل موجودين لأننا لم نكن نعمل ، ثم تحقق وجودنا لأننا عملنا وأخفقنا .. ولا بأس أن نخطئ ونخفق على أن ننهض وننفض الغبار ونستمد ، وإنما اليأس كله أن نتفكك ونتوانى وننام

إن هذه الأمة العربية أمة واحدة ، وهي جسم واحد لا ينبغي أن يفرق بين أعضائه ما يندمن إيذاء بعضها لبعض، فقد تمض الأسنان اللسان . فلا نخلع الأسنان ، وسينتهي ألم اللسان ! ولو أننا جعلنا مثل هذه الأمور سبباً إلى التفرق لما أبقينا على البلد الواحد بل الأسرة الواحدة ، فلو أخذنا بما يحاجنا به المبطلون في الوحدة العربية مما حدث في الظروف الأخيرة التي لابست الحركة العربية

أن أخفض قلمي تحية له وإعجاباً به ، لأنه يضرب أروع الأمثال لهؤلاء الذين يفضلون عصير الليمون على عصارة الأذهان ، ويؤثرون التسكع في الطرقات على قراءة الكتب وزيارة المكتبات !

تحية أقدمها إلى الأديب الفاضل قبل أن أقول له : يؤسفني أن يحول ضيق النطاق في هذا العدد عما يريد من جواب . . فإلى العدد المقبل حيث نعود إلى برنارد شو من جديد ، مسلطين بعض الضوء على تلك الجوانب التي تنشد التفسير والتعليل

أنور المعداوي

١١ - ٣٦

لما أبقينا على نعمريتنا إلا بلابسها فى بعض النواحى من بنى وفساد

والبعث العربى الجديد يجب أن يقوم على الاعضاء وتناسى ما كان، ونقد الواقع الفاسد، والعمل للمستقبل. وهو من حيث التسامح والإيثار — كما قال العربى الأول :

وإن الذى بينى وبين بنى أبى
وبين بنى عمى لمختلف جدا
فإن أكلوا لحمى وفرت لحومهم
وإن هدموا مجدى بنيت لهم مجدا
وإن ضيعوا غيبى حفظت غيوبهم
وإن هم هووا غيى هويت لهم رشدا
وإن زجروا طيراً بنحس تمر بى
زجرت لهم طيراً تمر بهم سعدا
ولا أحمل الحقد القديم عليهمو
وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا
لهم جل مالى إن تتابع لى غنى
وإن قل مالى لم أكلفهم رفدا

بين الحقيقة والمجاز :

فى إحدى الجلسات الماضية بمؤتمر مجمع فؤاد الأول للغة العربية ألقى الأستاذ عباس محمود العقاد محاضرة عنوانها « كلمات عربية بين الحقيقة والمجاز » بدأها بقوله :

توجد فى اللغة العربية كلمات كثيرة بقى لها معناها الحقيق مع شيوع معناها المجازى على الألسنة، حتى ليقع فى اللبس فى أيهما السابق وأيهما اللاحق فى الاستعمال ، ثم قال إن من هذه الكلمات كلمتى « الحقيقة » و « المجاز » فالحقيقة فكرة مجردة ولكن مادة الكلمة تستخدم للدلالة على ما يلمس باليد ويقع تحت النظر فيقال « انحقت » عقدة الحبل ، أى انشدت . والمجاز من جاز المكان أو جازبه غير معترض، ويقال هذا جائز عقلا أى غير ممتنع ولا اعتراض عليه

وعرض الأستاذ طائفة من الكلمات وبين معانيها الحقيقية والمجازية واستعمالاتها فى المحسوسات وغير المحسوسات ثم قال : ونستطرد ومما تقدم إلى المقارنة بين اللغة العربية واللغات الأخرى فى استعمال المعنى الحقيقى والمعنى المجازى فى وقت واحد فيبدو لنا من هذه المقارنة أن الكلمات التى تستعمل للفرضين كثيرة فى اللغة العربية وليست بهذه الكثرة فى اللغات الأوربية ، وقد يرجع هذا الفارق إلى غير سبب واحد ، فلعله راجع إلى تطاول العهد بين بداوة الأمم الأوربية وحضارتها ، ولعله راجع إلى انتقال لغاتها إلى حالتها الحاضرة من لغات قديمة بطل استعمالها وانقطعت فروعها عن أصولها ، ولعله راجع إلى خاصة عربية بدوية فى التعبير بالتشبيهات المجازية أو الشعرية . وأيا كان السبب فالملاحظة العلمية التى نتأدى إليها من هذه الملاحظة أننا لا نحتاج كثيراً إلى التسلسل التاريخى فى وضع معجماتنا الحديثة ، لأن هذا التسلسل ضرورى فى اللغات التى يكثر فيها إهمال الكلمات فى معنى وصيرورتها فى معنى آخر ،

كشكول الأسبوع

▫ أقامت جمعية علماء الإسلام فى الباكستان حفلة تكريم للدكتور عبد الوهاب عزام بك سفير مصر فى الباكستان ، عبر المتكلمون فيها عن الأمل فى توحيد الدول الإسلامية ، واقترح بعضهم استعمال اللغة العربية لغة رسمية لكل البلاد الإسلامية

▫ جاء من كراتشى أن الدكتور عبد الوهاب عزام بك يقوم بترجمة ديوان « رسالة الشرق » للشاعر محمد إقبال ، وأنه سيفرغ منها فى أوائل العام القادم ، على أن تنشر فى ذكرى إقبال التى تقع فى إبريل

▫ تحدث معالى الدكتور طه حسين باشا إلى مندوب الأهرام فى صدد حضور علماء أوربا إلى مصر فى عيد الجامعة ، فقال معاليه : الشىء الذى لا شك فيه هو أن أوربا المثقفة قد عرفت الآن أن مصر قوة أساسية فى مستقبل الحضارة الإنسانية الحديثة

▫ يعمل معالى وزير المعارف على إنشاء معهد « أكاديمى » للعلوم والفنون والآداب ، وقد أعد المشروع الخاص بهذا المعهد ليعرض على البرلمان قريباً

▫ أعلن مدير مصلحة الآثار الباكستانية أنه أمكن تحديد الموقع الذى أقيمت عليه مدينة « دابيول » القديمة التى يرجع عهدها إلى القرن الثامن والتى نزل بها محمد بن القاسم عند غزو الهند فى الفتوحات الإسلامية . وقد عثر هناك على آثار تلقى ضوءا على صفحة مجهولة من تاريخ العرب والإسلام فى الهند

▫ أذاعت وكالة الأنباء العربية من لندن أنه قد صدرت فى بريطانيا طوابع بريد تذكارية إحياء لذكرى مرور ألف سنة على وفاة الفيلسوف ابن سينا . وسيخصص المال الذى يجمع من بيع هذه الطوابع لبناء مقبرة جديدة فى همدان بإيران لصاحب الذكرى

▫ تحدث الأستاذ مارون عبود بمحطة الشرق الأدنى عن النهضة الأدبية فى سوريا ولبنان ، فقال فى شعراء الرمزية : إن شعرهم كليل اليتامى كثير الفجور

ولكنه لا يلزم هذا المبلغ من الضرورة حين توجد الكلمة مستعملة في جميع معانيها على السواء أو على درجات متقاربة . ومن النتائج العمليـــة لتلك الملاحظة أن نذكر في سياق التجديد والمحافظة على القديم أن العرب كانوا مجددين على الدوام في إطلاقهم الكلمات القديمة على المعاني الجديدة ، ونحن لا نعدو سياقنا هذا حين نلتفت إلى الأصل في كلمة القديم والأصل في كلمة الجديد ، فنتخذ منهما شاهداً على ماذهبنا إليه . فالتقدم هو السير بالقدم ، ويقال تقدم أي مشى بقدمه ، كما يقال ترجل أي مشى برجله ، وتقدمه أي مشى أمامه ، ومن هنا التقدم بمعنى السبق والقديم بمعنى الزمن السابق . ولا ندري على اليقين كيف أطلقت كلمة الجديد على معناها هذا في أقدم أطوارها ، ولكننا ندري أن الجد هو القطع وأن الثوب الجديد هو الذي قطع حديثاً ، فلعل هذا المعنى من أقدم معاني الجديد ، إن لم يكن أقدمها على الإطلاق . وظاهر من جملة هذه الملاحظات أن أهل العربية جددوا كثيراً في مجازاتهم ، وأننا نستطيع أن نحذو حذوهم ونحن نقول « نحذو حذوهم » ولا نظن أننا نبعد في اتخاذ الكلمات لمعانيها المستحدثة مسافة أبعد من المسافة بين الأصل في حذو الجلد وبين المجاز في دلالته على الاقتداء والاهتداء ، ولا أبعد من الأصل في كلمة « المسافة » حين أطلقت على الموضع الذي يسوف فيه الدليل تراب الأرض ليعرف موقعه من السير ، ثم استعيرت لما نعنيه اليوم بالمسافة وهي كل بعد بين موضعين . وشرط اللغة علينا أن نصنع كما صنع أهلها ، فنجدد في المعاني من طريق المجاز، بحيث لايكاد السامع يفرق بينها الوهلة الأولى : أهي أصل في اللغة قديم أم مجاز جديد

ثم جرت مناقشة بين الأعضاء في موضوع المحاضرة ، قال فيها معالي السيد محمد رضا الشبيبي : هل يفهم من قول الأستاذ « إننا لا نحتاج كثيرا إلى التسلسل التاريخي في وضع معجماتنا الحديثة وأننا في غنى عن وضع المعجمات اللغوية التاريخية» ! فقال الأستاذ العقاد : في اللغة العربية استعملنا كثيرا من المعاني المجازية ، لكن التعب الذي نحتاج إليه في الرجوع إلى أحوال الكلمات أقل من تعب واضعي المعجمات الأوربية ، فمثلا معجم أكسفورد وهو أكبر معجم للانجليزية اضطر واضعوه أن يبدأوا من القرن الثاني عشر لأن ما قبله لا يستعمل الآن ولا يفهم ، لكننا نحن قد نجد كلمة من الجاهلية تستعمل الآن في معناها الأصـــلي

وقال الأستاذ « جب » : مامدى تطبيق هذه القاعدة؟ إن نظام الاختيـــار في نهاية الأمر للجمهور ، أما فيما يختص بالمصطلحات العلمية فالجمهور خاضع لأمر المختصين

وقال الأستاذ « ماسنيون » : تذكرت جلسة من الجلسات القديمة تباحثنا فيها عن التضمين ، فالتضمين كالمجاز ، وقد ألقيت منذ سنتين كلمة في جامعة باريس عن أهمية التضمين في تشكيل عبارات جديدة ومعان جديدة في قوالب قديمة . فقال الأستاذ العقاد : لم تنتفع بالتضمين حق الانتفاع مع أنه نافع جداً ، والتضمين يجب أن يتجه إلى إبداع معان فكرية جديدة ، أما الحللات اللفظية فنحن في غنى عنها

حول محاضرة الدكتور ناجي :

قرأت تعقيبك على محاضرة « الشاعر الدكتور ناجي » ... وأنا وإن كنت ممن يقدرون شعر ناجي ، بل كدت - يوما - أضمه في مصاف الملهمين المعاصرين من أمثال على طه وإيليا أبي ماضي ... وإن كنت أيضاً لا أحب أن أتعرض لشكواه من أن القراء يقدرونه أو لا يقدرونه ... إلا أنه آلمني حقا أن ناجي يود أن تتخلص الرسالة من شعرائها (التافهين) ، أو على الأصح يود أن تقف الرسالة (رسالة الشعر) عليه وعلى أمثاله من الملهمين ... ...

هذه ياسيدي الأستاذ - علة الشرق الحديث ، وهذا داؤه ... كلنا يحب أن يطغى على غيره ... لا عمل لنا إلا قتل الناشئين في مهدهم ... أما أن نفسح لهم الطريق - ولا أقول - نقومهم ونرشدهم ... أما أن نتخذهم تلامذة لنا .. نقول لهم هذا صحيح فانموه ، وذاك خطأ فاجتنبوه ... فليس هذا من دأبنا

وليس الذنب ذنب (ناجي) وحده - فيما أرى - فلقد سمعت منذ أشهر أحد الأدباء الكرام يتهجم هو أيضاً على الشعراء من شباب اليوم ويتهكم قائلا : إنهم يقولون الشعر وهم بعد لم يحفظوا



تفسير جزء تبارك

لفضيلة الأستاذ الشيخ عبد القادر المغربي

عضو مجمع فؤاد الأول للغة العربية

وضع هذا التفسير صديقنا الأستاذ الشيخ عبد القادر المغربي عضو مجمع فؤاد الأول للغة العربية . وقد حذا فيه حذو الأستاذ الإمام في تفسيره لجزء عم من حيث الاقتصار على مافيه الفائدة ويحتاج إليه الحريص على فهم كلام الله وحده. وقد تحققت هذا من التفسير وزارة المعارف المصرية فطبعت منه نيفاً وثلاثين ألف نسخة ووزعتها بين أيدي الطلاب . ويكفي في التعريف بهذا التفسير ماقاله المرحوم الشيخ مصطفى المراغي شيخ الجامع الأزهر فيه (أنه مرجو النفع بما فيه من العناية بتقرير المسائل التي تمس إليها الحاجة ، ولما هو عليه من سلامة الأسلوب وصفاء العبارة) وقال فيه الأستاذ الشيخ محمد بهجة الأثري كبير مفتشي المعارف في الوزارة العراقية ، وقد أهدى إليه مؤلفه نسخة منه : (وأفاخر بأن أضمها إلى أمثالها في خزانة كتبي من أجلاد التفاسير لعلماء الأمة ، ولها عليها جميعاً مزية الجدة في الرأي وجمال العرض وبراعة البيان) افتتح المفسر مقدمة تفسيره بقوله :

(نحمدك ربنا منزل القرآن . بحقائق الإيمان ، وجليل العبر ، وملهم الأذهان نواصع البيان ، ودقيق النظر ، ونصلي ونسلم على سيدنا محمد المبعوث بأكرم الأديان ، وقاطع البرهان ، من ولد مضر . صلاة وسلاماً تتجددان ، ما تجدد الزمان ، وتعاقب الملوان . ولاح قمر ، ولا أدل على تصوير مكانة هذا التفسير

(كتب المحفوظات في المدرسة) ....

وهكذا يستعدي ناجي الرسالة على الناشئين من الشعراء وهي المجلة الوحيدة في الشرق التي لا تشترى الأسماء ، ولا تنشر إلا ما يستحق النشر في وقت دأبت فيه جل مجلات الشرق على أن تشتري قراءها بأسماء ضخمة مقدمة ومؤخرة بالألقاب ... وفات ناجي أن الرسالة أستاذ قبل أن تكون مجلة ، وأن قراءها تلامذة قبل أن يكونوا قراء ...

وبعد فما أحب أن أطيل الحديث مع ناجي ، ولكني أود أن أقول له : لم لم يكتب للرسالة ناقداً وموجها ؟ ! ... لم لم يجابه أولئك « التائهين » بشعره على صفحات الرسالة ؟ ! ...

وبعد فيا صاحب (الليالي القاهريات) ... إني لأذكر أن الرسالة حدثتنا - منذ زمن - أنك أنكرت على الناس جحودهم لشعرك فحرقته - على ما أذكر - ويومها كنت أرثي لك وأرحم على شعرك ... أفلا تخاف - ياشاعري - أن ينكر عليك شعراء الشباب هذا الجحود ، فيفعلون بأدبهم مثل ما فعلت بأدبك في شبابك ؟ ! ... ويومها - ياسيدي - اقسم لك أننا سوف نفقد تلك الروح العذبة الرقيقة التي تسيطر على شعر الشباب - ! ! ...

لقد قالت الرسالة ياسيدي الشاعر في عددها الأخير على لسان الأستاذ المداوي « إن الرسالة لن تغلق أبوابها يوما في وجه أصحاب المواهب والملكات »

« أسامة »

إنني أشاطر الأديب « أسامة » تقديره لشعر الدكتور ابراهيم ناجي ولا أرى في تعقيبه ما يحتاج إلى تعقيب إلا أنني أحب أن أعبر عن مودتي للدكتور ناجي ، تلك المودة التي لا يعجبه أن تمزج بما أكتب عنه أحيانا . . ولكن ماذا أصنع وهو يغري هذا القلم دائماً بما يهيئ له من موضوعات طريفة ؟ إنه يغضب مني ، وقد اصطلحنا غير مرة ، ولكن الإغراء يتجدد .. ومالي بدفعه حيلة

وأرجو أن يوسع الشاعر الكبير الدكتور ابراهيم ناجي صدره ، وبعد نفسه - كما بعده - ملكا أدبيا عاما .. وأن يقبل تحيتي ومودتي واحترامي

عباس خضر

والتعريف بحسنه من أن نبسط تحت مواقع أبصار القارىء هذا النموذج منه : وهو ما حرره المؤلف تعليقاً على آية (كذلك يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء) فقد قال بعد أن أبان ارتباط معنى الآية بما سبقها وأزاح الستار عن معنى القضاء والقدر بما يسكن إليه ضمير القارىء المتقى قال ما نصه :

« على أن المقام رحباً وسيع كلمة يجب ألا تفوتنا عملا بما أمرنا به القرآن من النظر فى الأمم وحالاتها ، ثم الاعتبار ببداياتها ونهاياتها ، فنقول :

أشرنا فى أطواء كلامنا السابق إلى أن البشر قد تجذبهم إلى سعادتهم أو شقاوتهم « جواذب » وإن شئت سميتها « عوامل » : من مثل الملة التى يمارسون شعائرها وأحكامها ، والحكومة التى تسيطر عليهم ، والعائلة التى تربى أطفالهم . والمدرسة التى تعلم أبناءهم ، والمحفل أو النادى الذى يحتشدون فيه للحديث أو السمر أو اللهو أو البيع والشراء أو مختلف الأعمال والمصالح — فالمراد من المحفل أو النادى ما يريده علماء التربية بقولهم « جماعة الأصدقاء والمعاشرين » — والوراثة التى تنقل إلى أبنائهم دم آبائهم ومزاجهم وتكوينهم الجسمانى ، كما تنقل إلى نفوسهم طباع أولئك الآباء وغرائزهم وأخلاقهم وتكوينهم الروحانى ، والإقليم الذى يشربون ماءه ، ويستنشقون هواءه ، ويذوقون حره وبرده ، ويقتاتون بمحصولاته . وهذا المؤثر يسميه علماء علم النفس « البيئة الجغرافية » ، ويسمون العوامل الأخرى « البيئة الاجتماعية »

هذه « الجواذب » أو « العوامل » هى التى تعمل فى تكوين الأمم ، وهى التى تعرف بها حالتها الاجتماعية ، ودرجتها فى سلم المدنية ؛ فإن صلحت تلك العوامل واستقامت صلحت الأمم واستقامت فى أفرادها وجماعاتها ؛ إذ ليست الجماعات إلا فرداً متكرراً ، وإن ساءت وفسدت ساءت أحوال الأمم ، وانحط شأنها ، وتقهقر عمرانها

هذه الجواذب هى التى تجتذب البشر إلى ملابسة الخير أو موافقة الشر ، وتقودهم من أيديهم إلى مواطن السعادة ، أو مواطن الشقاوة ، وهى التى نستدل بها ، ونعثر على آثارها فى معرفة ما هو قضاء الله وقدره فى هذه الأمة ، أو تلك الأمة

فمهما رأينا من كمال تلك العوامل وسدادها ، وثبات أمرها ، وحسن نظامها — فهناك فوز الأمة وفلاحها ، وتجلى حكم القضاء والقدر فيها . ومهما رأينا من نقص « العوامل » وخطلها ، واضطراب أمرها ، وقبح نظامها — فهناك هلاك الأمة ودمارها ، وحكم القضاء والقدر فيها

هذه العوامل هى التى يعنى بها الأنبياء والحكماء والمشرعون والعلماء الاجتماعيون ، فيجتهدون فى إصلاحها ، وتقويم أودها ؛ حبا فى إصلاح أممهم ، وترقية شأن شعوبهم ، ولم يأل الدين الإسلامى فى النصح لأبنائه بوجوب توفيرها وتنقيتها من الشوائب ؛ كى تبقى صالحة لسعادتهم فى دنياهم ، ونجاتهم فى أخراهم

قد يقال : إذا كانت هذه العوامل هى مظهر قضاء الله وقدره فى البشر ، وعلى سلمها ينزلهم ربهم ويصعدهم ، ويشقيهم ويسعدهم ، فأنى لنا الوصول إليها بالإصلاح والترميم ، والتغيير والتبديل ؟ وهل هذا إلا افتئات على القدر ، وتداخل فى وظيفته ؟

والجواب على هذا آيات القرآن نفسها ؛ فإنها إنما أمرتنا بالنظر فى أحوال الأمم والاعتبار بما جرى ؛ لنتمسك بما كان سبباً فى نجاتها وسعادتها ، ولنتجنب ما كان سبباً فى هلاكها وشقاوتها . ونحن فى كلتا الحالتين بالغون ما قضاه الله وقدره فينا « اعملوا فكل ميسر لما خلق له »

وهذه الأمم المعاصرة لنا — معشر المسلمين — ارتفعت وعزت وغلبت بما كان من عنايتها بأمر العوامل المذكورة ؛ فليس الدين لديها اليوم ، ولا طرز الحكومة ، ولا نظام العائلة ، ولا قوانين المدرسة والتربية العامة وسائر مقومات الاجتماع — كما كانت عليه فى عصورها الوسطى

تقول : والاقليم والوراثة كيف يكون إصلاحهما ؟

فأما إصلاح « الاقليم » فيكون بتجفيف المستنقعات ، وغرس الأشجار ، وإنشاء الغابات والحراج ، وحفر الترع ، وجر المياه النقية للشرب

وأما إصلاح « الوراثة » وتحسين حالة النسل والأخلاق فقد أخذ الغربيون فى الأيام الأخيرة يعتنون به ، ويستفيدون مما يرشدهم

إليه العلم الصحيح ، والتجربة القاطعة بشأنه

وهذا ، أو ذاك ، أو ذلك – مما يدخل تحت الطاقة ، ويستطيعه البشر وقد أصبحت المكابرة فيه ضربا من الجهل والغباوة بعد ما رأينا حسن أثره واضحاً جليا في الأمم التي غلبت علينا ، وأصبحت المتحكمة فينا

وعجيب من مسلم أن يجرؤ على القول بأن في إصلاح الدين ، أو الحكومة ، أو نظام العائلة ، أو طريقة التعليم والتأليف ، أو سائر عوامل الحضارة والعمران – مخالفة للدين ، أو تدخلا في وظيفة القضاء والقدر ، وهذا الشارع الأعظم صلى الله عليه وسلم يجعل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ركناً من أركان الدين ، وليس هو في الواقع ونفس الأمر إلا مراقبة دائمة على الدين والتدينين به ؛ فلا يتسرب إليه أو إليهم ما ليس منه في شيء فيفسد ويفسدون

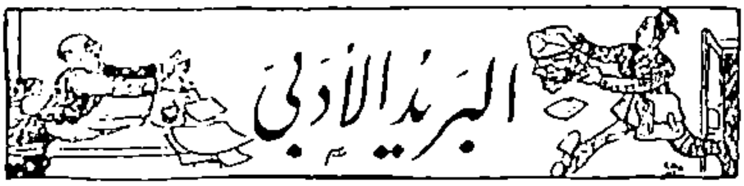
فالأمر والنهي إذن إصلاح ، والآمرون الناهون مصلحون وكان بعض العارفين يقول : « ينبغي لأهل كل مذهب في كل عصر أن يكون فيهم عالم كبير ينقح مذهبهم ، وذلك لأن الأحكام تتغير بتغير الزمان »

ومما يحسن إيراده هنا أن الشارع صلى الله عليه وسلم نبهنا إلى تأثير ناموس الوراثة ، وأشار إلى أن في إصلاحه إصلاحا للنسل والذرية مذ قال : « تخيروا لنطفكم ؛ فإن العرق نزاع » يريد تزوجوا كرائم النساء ؛ فإن أولادكم من زوجاتكم يرجعون في طيب الأخلاق وقبحها إلى أجدادهم من أمهاتهم ، أما رجوعهم في أخلاقهم إلى أجدادهم من جهة آبائهم فبالطريق الأولى. وليس فوق هذا إرشاد وتعليم لنا في أن نصلح شؤوننا ، وعوامل اجتماعنا، حتى ما يظن أنه مما لا يدخل تحت طاقتنا كمسألة الوراثة هذه . وقال أبو الأسود الدؤلي مخاطبا أولاده :

وأول إحساني إليكم تخيري لماجدة الأعراق باد عفافها

وبالجملة فإن الدين والعلم والتجربة والمشاهدة اتفقت كلها – وإن خالفها الجهل والتقليد والمكابرة – على أن سعادة الأمم وشقاءها أمران ميسوران لها ، داخلان تحت طاقتها . وليس معنى أن الله يضلها ويهديها إلا أنه تعالى يعهد تحت مواقع أبصارها طريق الهدى والضلال ؛ فهي إذا اختارت لنفسها طريق الهداية اختارته وسلكته بمشيئة الله وإرادته وسابق علمه ، وإذا اختارت لنفسها طريق الضلال اختارته وسلكته أيضا بمشيئته تعالى وإرادته وسابق علمه . وما أحسن ما قاله نبينا صلى الله عليه وسلم : « أيها الناس ، إنهما نجدان : نجد الخير ونجد الشر ؛ فما جعل نجد الشر أحب إليكم من نجد الخير ؟ » ، ويشبه هذا ما قاله الامام جعفر الصادق بن محمد الباقر : « إن الله أراد بنا شيئا وأراد منا شيئا ، فما أراده بنا طواه عنا ، وما أراده منا أظهره لنا ، فما بالنا نشتغل بما أراده بنا عما أراده منا ؟ »

وأوضح السبل الموصلة إلى سعادة الأمم هو إصلاحها دينها ؛ فلا يكون فيه حشو أو بدعة ، أو تكليف مما لم يأت به وحي ، ولا خبر صادق . ثم إصلاح بقية المقومات والعوامل التي قلنا إنها هي التي تجذب بضبع الأمم إلى مراقي الكمال والعزة والغلبة. كما أن أقرب الطرق التي تأخذ بالأمم توا إلى هاوية الذلة والمسكنة والدمار والاضمحلال – هو ترك الدين محشواً بالبدع، وبما لا يرضى الله ورسوله من الآراء والتعاليم والأقوال البين سقطها ، الظاهر غلطها . ومثل ذلك في الضرر أن نترك كل قديم على قدمه من أوضاع حكوماتنا ، ونظام عائلاتنا ، وأصول التدريس والتأليف في مدارسنا ومؤلفاتنا ، وسائر مقومات اجتماعنا . وقد تبين فساد ذلك كله وعدم إيصاله إلى مجامع الحياة السعيدة ؛ فإن جميع ذلك سبل ضلال : بسطها الله تحت مواقع أبصارنا ، وبالغ في تحذيرنا منها في محكم كتابه ؛ فما علينا إلا التنكب عنها ، والاستعاذة به تعالى منها ؛ فنكون من الفائزين المهتدين إن شاء الله »



طول العمر وقصره :

وجه حضرة الأستاذ عدنان سؤالاً على صفحات الرسالة الغراء بالعدد (٩١٥) بمناسبة مقال عن (الخمر بين الطب والإسلام) يقول فيه إنه جاء في هذا المقال (وإذا اطلعتم على إحصائيات شركات التأمين على الحياة وجدتم أن استعمال الخمر ولو بمقدار متوسط يقصر العمر) ثم يقول كيف يمكن التوفيق بين إحصائيات شركات التأمين على الحياة وقول الله تعالى (وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلا) وقوله جل شأنه (فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون)

وقد أوجزت (الرسالة) رداً بليغاً، بقول الله تعالى (وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب) وأنا أجيب حضرة السائل فأقول

ما من شيء في هذه الحياة الدنيا إلا وقدر بأسباب، فلم يقدر مجرداً عن سببه ولكن قدر بسببه. فمتى أتى الإنسان بالسبب وقع المقدور، ومن لم يأت بالسبب انتفى المقدور وهكذا كما قدر الشبع والري بالأكل والشرب، وقدر إيجاب الأولاد بالزواج وقدر حصول الزرع بالبذر، وقدر خروج نفس الحيوان بذبحه، وقدر دخول الجنة بالأعمال ودخول النار بالأعمال (كما جاء في الجواب الشافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن قيم الجوزية) فكذلك قدر على شارب الخمر من الأزل إتلاف صحته سريعا ثم يقضي في عمر قصير كتبه الله عليه في اللوح المحفوظ (وكل شيء أحصيناه كتابا)

أرأيت إلى من يدهسه (ترام) مثلا فيموت هل قصر عمره أم ذلك كان في كتاب مسجل في برنامج الوجود؟

أرأيت إلى من يرمي نفسه من حالق فيقضي، هل قصر عمره أم ذلك أجله وافاه. فالمقتول والمنتحر كل منهما ميت بأجله الذي علم الله وقوعه وسببه وزمانه ومكانه. وكذلك شارب الخمر ميت بأجله الذي قدره الله له، فكل الأشياء مرسومة قبل أن يوجد الانسان

إذاً لم تكن الخمر سبباً في انقاص أجل طويل فلكل أجل كتاب، ولكنها سبب لتقدير أجل قصير قدره الله من الأزل

وقد أخرج مسلم عن جابر أن سراقة بن مالك بن جعشم قال يا رسول الله بين لنا ديننا كأنا خلقنا الآن فيم العمل أفيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير أم فيما يستقبل؟ قال فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير قال ففيم العمل قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له وكل عامل بعمله)

الدكتور حامد الغوابي
طبيب أول مستشفى رعاية الطفل بالجيزة

رحمة باللاجئين

حينما تناولت القلم لأكتب وقفت طويلا . . حائراً ... قبل أن أبدأ ... لقد تزاحمت على الكلمات، وأخذت الألفاظ تترى من كل حدب وصوب كالسيل الجارف . فلم أدر ماذا أكتب وماذا أعمل؟

وهل تفي الكلمات بالغرض الذي من أجله تناولت القلم . هل يمكن للحروف المسطرة على القرطاس ... أن تصرخ وأن تصيح وأن تسكب دماء بدل الدمع حينما تحاول أن تصور حالة إخوان لنا إن لم يكن في اللغة والوطن والدين . فعلى الأقل في الانسانية

إنهم ليسوا بالأموات ولا هم بالأحياء كذلك؛ أو قل إن شئت إنهم أحياء أموات أو أموات أحياء . وهل أدل على ذلك من أناس يعانون المرض والبرد والجوع والعرى ولا يكونون كما وصفتهم . أنهم إخواننا اللاجئون العرب الفلسطينيون

أهب ياسيدي بقراء الرسالة وذكرهم بما هو البرد وزمهرير الشتاء في العراء . ذكرهم بالجوع وقل لهم ما هو . ذكرهم بالمرض في الخلاء من غير مأوى ولا دواء . ناشد ياسيدي إخواننا القراء لكي يمدوا يد المعونة إلى هؤلاء البائسين المشردين وليرسل كل منهم إلى حضرة صاحب السعادة رئيس المجلس الأعلى لاغاثة اللاجئين العرب الفلسطينيين بجمعية الهلال الأحمر المصري بالقاهرة ما تجود به نفسه من مال أو ملبس أو دواء أو ما يستطيعون وما يفيض عن حاجتهم مهما قل؛ فإن القليل كثير

سام ياسيدي في هذا العمل الانساني بنشركم كلمتي هذه فإن كلمة صغيرة قد تنقذ أرواحا معذبة قد تكون الآن في حالة النزع أو ماهو شر من النزع

محمد أمان

الموظف بالمجلس الأعلى لإغاثة اللاجئين الفلسطينيين العرب

سؤال

ألقى مدرس ثانوي من إخواننا المسيحيين بمدرسة (...) الثانوية بالقاهرة على طلبته بالسنة الأولى السؤال التالي : ألم تقولوا إن الإسلام قد سبق الديمقراطية الحديثة في احترام الحريات والرأي والاعتقاد ؟ فأجابه تلامذته بجواب الفلذ الواثق بهم . فقال المدرس لماذا إذن يستعمل الاسلام القسوة مع المرتد فيحكم عليه بالاعدام ؟ أليس من حرية الاعتقاد أن يعتنق الشخص أي دين يشاء ؟

وفلسفة الاسلام في قتل المرتد أعمق غوراً من أن يبلغها السائل والمسؤول . فالاسلام لم يقتل المرتد لأنه يهودي أو لأنه نصراني، وليست علة القتل هي اليهودية أو النصرانية، وإلا لما ترك الاسلام يوم كان يسيطر على الدنيا كتابيا واحدا. وهذا غير ماعرف من إكرامه لأهل الكتاب عامة وأهل الذمة خاصة ، ولكنه قتل المرتد لأنه ذو وجهين أو لأنه لا مبدأ له أو لأنه مادام — بإسلامه — قد اكتمل إيمانه بموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام لا يصح أن يعود من جديد فيؤمن بالبعض ويكفر بالبعض الآخر . وللقائل أن يقول لم يقتل الاسلام المرتد العكسي أي من اليهودية أو النصرانية إلى الاسلام فأقول له إن إيمانه كان جزءاً فبإسلامه أصبح إيمانه كاملا فليس من الحكمة في شيء استعمال القسوة معه . ولا إيمان المسلم بمحمد إلا إذا آمن بعيسى قبله

وبعد فليعلم إخواننا المسيحيون المدرسون أن التلاميذ الذين بين أيديهم إنما هم أمانة عندهم فلا يصح بذر الشكوك في أذهانهم الغضة بمثل هذه الأسئلة التي لا يستطيعون الاجابة عنها في مثل هذه السن ولا بمثل ماعندهم من العلم

مختار محمد هويدي

بين حافظ ابراهيم وعبد الحميد الزهراوي :

كان حافظ معروفاً بالتدقيق في انتقاء الألفاظ فإذا حضره معنى من المعاني الشعرية الملونة بذل أقصى الجهد في وضعه في قالب فصيح بليغ، وقد يقضي أياما يبحث عن لفظ فصيح تتلقاه الآذان دون استئذان

وأذكر أنه في مقهى « السبلندد بار » المقابل لحديقة الأزبكية والذي يسمى الآن « مقهى السنت فاير » في القاهرة كان يجلس أدباء الجيل الماضي في خلال الحرب الكبرى الأولى وقبلها وبعدها — رأيت في أحد الآصال حافظا يقبل على جماعة من أولئك الماضين ثم ينشدهم قصيدة من قصائده التي يخاطب فيها العميد البريطاني وأذكر من أبياتها الأولى :

بنات الشعر بالنفحات جودي ... فهذا يوم شاعرك المجيد
أطلي واسفري ودعيه يحيي ... بما نوحين أيام الرشيد
إلى من نشتكي عنت الليالي ... إلى العباس أم عبد الحميد

ثم يتطرق إلى مخاطبة العميد فيقول :

إذا اشتد الصياح فلا تلمنا ... فإن القوم في جهد جهيد

وعندما ألم هذا البيت بدت عليه علامات الكآبة فقيل له علام أنت مكتئب يا حافظ؟ فقال والله إني غير راض عن هذا اللفظ « اشتد » فإنه لفظ سقيم. وقد حاولت عبثا أن أجد لفظا آخر أفضل منه فلم أوفق، فأخذ كل من الحاضرين يبحث عن اللفظ المناسب ومرت دقائق ودقائق والجميع واجمون حتى اندفع الشيخ عبد الحميد الزهراوي الذي كان في ذلك العهد محررا في (الجريدة) التي كان يتولى رئاسة تحريرها الفيلسوف أحمد باشا لطفي السيد وقال لحافظ قل « إذا علا لي الصياح فلا تلمنا » فتهلل محيا حافظ وقال لعبد الحميد لله درك يا عبد الحميد! والله إن هذا هو اللفظ الذي ما فتئت أبحث عنه فلم أعثر عليه ، وتقدم إلى الشيخ وقبله رحم الله أولئك الأبطال !

طرابلس الغرب

خليل الخوري

القاضي في المحاكم الليبية



حب في الشتاء

قصة للكاتب الروسي أنطون تشيكوف

للأستاذ محمد فتحي عبد الوهاب

كان ذلك اليوم من أيام الشتاء المشرقة ... والصقيع ينقصف في حدة ، وقد كسا الجليد اللجيني خصلات شعر نادنكا المتهدلة على جبينها وحافة شفتها العليا

وكانت ممسكة بذراعي ونحن واقفان على تل مرتفع ، وقد امتد تحتنا المنحدر الأملس ، تنعكس عليه أشعة الشمس كما لو أنه مرآة ، وبجوارنا زاحفة مغطاة بقماش أحمر براق

وقلت لها راجيا « فلننزلق يا نادبزدا بتروفنا ! مرة واحدة فحسب ! أؤكد لك أنك ستكونين بخير ولن تصابي بسوء »

بيد أن نادنكا ظلت مرتاعة ، فقد كان يبدو لها المنحدر من موقع قدميها حتى سفح التل الثلجي وكأنه هوة مهولة عميقة الغور. وخانتها شجاعتها ، وبهرت أنفاسها كلما حدقت إلى أسفل ، في الوقت الذي كنت أقترح عليها مجرد ركوبها الزاحفة . إذن ماذا يكون حالها إذا ما جازفت بالاندفاع إلى الهاوية؟ فلعلها تهلك أو لربما تفقد وعيها

وقلت « أرجوك ! لا تخافي ! إنها شجاعة واهنة منك ! إنه خور وضعف ! »

وأخيراً أذعنت دونكا ... ولاحظت من ملامحها أنها قد رضخت وهي في حالة من الخوف المميت . وأجلستها على الزاحفة شاحبة مرتجفة ، وأحطتها بذراعي . ثم دفعت بي وبها إلى أسفل الهاوية

واندفعت الزاحفة وكأنها القذيفة . ولطم الهواء وجهينا مزمجرا ، وهدر في آذاننا يتمزق حولنا ، ويقرصنا غاضبا في قسوة ، محاولا أن ينتزع رأسينا من أكتافنا . وتعذر علينا التنفس من ضغط الريح

كان يبدو كما لو أن الشيطان ذاته قد أمسكنا بمخالبه ، يسحبنا إلى الجحيم في هدير . واستحال كل ما يحيط بنا خطا واحداً متماسكا ممتدا يسابقنا سباقا هائلا ... وخيل إلينا في لحظة كما لو أننا في طريق الردى

وهتفت قائلا في همس « إني أحبك يا ناديا ! »

ثم أخذت الزاحفة تقل سرعتها رويداً رويدا ، ولم نعد نخشى هدير الريح . وسهل علينا التنفس . ثم إذا بنا في سفح الهضبة

كانت نادنكا في حالة سيئة ، شاحبة الوجه ، تتنفس في صعوبة ... وساعدتها على النهوض

وأخيراً قالت وهي ترنو إلي بعينين واسعتين مفعمتين رعبا « ما من أحد في العالم يدفعني بعد ذلك إلى إعادة الكرة . لقد كدت أهلك ! »

وإن هي إلا لحظة حتى استعادت رباطة جأشها ، ثم تطلعت في عيني متسائلة ، وقد لاح على محياها دلائل العجب : هل أنا تفوهت حقا بهذه الكلمات الثلاث ؟ أم كان ذلك وليد تخيلاتها وسط زئير العاصفة ؟ وكنت واقفاً بجوارها أدخن وأنا غارق في تأمل قفازي

وأخذت بيدي ، ثم قضينا وقتاً طويلا نتجاذب أطراف الحديث على مقربة من التل الثلجي . وكان من الجلي أن اللغز لا يدع لها فترة للراحة ... هل تفوهت بتلك الكلمات أو لم أتفوه ؟ ... نعم أولا ؟ ... نعم أولا ؟ إنها مسألة كبرياء، شرف ، حياة — إنها شيء ذو أهمية كبرى ، أهم مسألة في العالم

وظلت نادنكا تتأمل وجهي في حزن واضح، وتخترق نظراتها النفاذة ملامحي في صبر نافذ ، وتجيب على أسئلتي كيفما تمن لها الإجابة . أواه ، يالها من مشاعر تتلاعب على صفحة ذلك الوجه الجميل ! شاهدت أنها تناضل مع نفسها ، وتود أن تفضي بشيء ، وتريد أن تسأل سؤالا ، دون أن تجد ما يسعفها من كلمات . تستشعر الارتباك والخوف والاضطراب ...

وأخيراً قالت دون أن تنظر إلي « أتعرف ماذا ؟ »

قلت « ماذا ؟ »

قالت « دعنا نتزلق مرة أخرى ! »

° ° °

وتسلقنا الهضبة الثلجية . وجلست نادنكا فى الزاحفة شاحبة مرتجفة . ومرة أخرى اندفعنا شطر الهوة المخيفة . وزأرت الريح . ومرة أخرى همست والزاحفة تشق طريقها فى سرعة مخيفة « إنى أحبك يانادنكا ! »

وعندما توقفت الزاحفة عن السير ألقت نادنكا نظرة على الهضبة حيث انزلقنا ، ثم حدجتنى بنظرة طويلة ، تستمع إلى وأنا أتكلم فى هدوء وبرود ، ويبرهن كل جزء من جسمها الصغير ، حتى الفراء التى كانت تغطى به يديها ، حتى غطاء رأسها ، عن منتهى الحيرة ، وكأنما قد سطر على وجهها « ماذا يعنى ذلك ؟ من الذى تفوه بتلك الكلمات ؟ أنطق بها هو أو أنى تخيلت ذلك فحسب ؟ »

وأصبح الشك يضايقها ويقصيها عن كل صبر . ولم تعد الفتاة السكينة تجيب على أسئلتى ، بل صمتت فى غضب وكأنها على وشك البكاء

وأخيراً سألتها « أليس من المستحسن أن نعود إلى الدار ؟ »

فقالت فى خفر « حسن . أنا ... إنى أحب هذه الرياضة . ألا تود أن تتزلق مرة أخرى ؟ »

إنها تحب « هذه الرياضة » ! ومع ذلك ، فعندما امتطت الزاحفة ، أصبحت - كما كانت فى المرتين السابقتين - شاحبة الوجه مرتجفة ، تلهث رعباً

وانحدرنا للمرة الثالثة . ولاحظت أنها تحدق فى وجهى وتراقب شفتى . ولكنى وضعت منديلى على فمى وسعلت . وعندما بلغنا منتصف الهضبة ، ، نجحت فى التفوه قائلا « إنى أحبك يانادنكا ! »

وظل السر غامضاً ! كانت نادنكا صامتة ، تنعم النظر فى . . لاشىء . . وأوصلتها إلى دارها . كانت تسير الهوينى ، وتحاول أن تقصر من خطواتها ، إلى أن تتحقق من أنى تفوهت بهذه الكلمات . ولاحظت كيف كانت روحها تتعذب ، وأى مجهود كانت تقوم به وهى تحدث نفسها قائلة « لا يمكن أن تكون الريح قد تفوهت بهذه الكلمة ! إنى لا أود أن تكون هى السبب ! »

وفى صباح اليوم التالى تسلمت رقعة منها تقول فيها « إذا كنت تود التريض اليوم ، فاحضر إلى »

ومنذ ذلك الوقت أخذت أذهب يوميا للانزلاق مع نادنكا ، وكلما نزلنا بالزاحفة أهمس قائلا « إنى أحبك يانادنكا »

° ° °

وسرعان ما اعتادت نادنكا هذه العبارة كما يعتاد المرء الخمر والمخدر ، وأصبحت لا تستطيع العيش بدونها . وفى الحق ، كان الانزلاق من التل الثلجى يرعبها دائما بيد أن الإحساس المخيف والشعور بالخطار قد ولدا لها سحراً غريبا من كلمات الحب - كانت كانت لا تزال لغزا يعذب روحها . وكنا - أنا والريح - لازلنا موضع شكها . . فقد كانت تجهل من منا الذى يغازلها . بيد أنه كان يبدو الآن أنها لم تعد تأبه بذلك أوتهتم . فشارب الخمر لا يعبأ من أى دن يستقى مادام أن مايحتسيه يثمله

ولقد حدث ظهر يوم أن ذهبت وحيدا إلى أرض الانزلاق واختلطت بالموجودين ، فشاهدت نادنكا تصعد الهضبة وتنظر باحثة عنى . . وكان يبدو عليها الخوف من الذهاب وحدها - أوه أى خوف ! لقد كانت ناصعة البياض كالثلج ، ترتجف وكأنها فى طريقها إلى المقصلة . بيد أنها واصلت التسلق فى عزم دون أن تلتفت خلفها . وكان من الجلى أنها صممت أن تتبين وحدها فيما إذا كانت ستستمع إلى تلك الكلمات العجيبة فى أثناء غيابى

وشاهدتها شاحبة الوجه منفرجة الشفتين ، تمتطى الزاحفة وتغمض عينيها ، ثم تندفع بها وكأنها تودع الأرض إلى الأبد

ولست أدرى هل سمعت نادنكا تلك الكلمات . كل ما أدريه أنى شاهدتها تنهض من الزاحفة وقد بدت متخاذلة منهوكة . ولم يبد على محياها ما ينبىء : أكانت قد سمعت شيئا أو لم تسمع . فقد كان خوفها وهى تنحدر قد جردها من حاسة السمع أو تمييز الأصوات . فلم تؤد بها محاولاتها الجبارة إلى حل ذلك اللغز اللطيف . . ولم تحاول مرة أخرى

ثم أقبل شهر مارس ... وكانت أشعة شمس الربيع أكثر حنانا وشفقة . . وتحولت هضبتنا الثلجية إلى لون قاتم ، وفقدت بهاءها . وأخيرا ذاب الثلج وهجرنا الانزلاق : ولم يعد هناك ثمة موضع تستطيع فيه السكينة نادنكا أن تستمع إلى تلك

الكلمات وفى الحق ، لا يوجد هناك من يتفوه بها الآن ، فالريح قد وات ، وكنت أنا الآخر على أهبة الرحيل قاصدا بطرسبرج لأقيم فيها مدة طويلة بل لعلها تكون إقامة مستمرة

وحدث قبل رحيلى بيومين أن كنت جالسا يغمرنى الظلام فى الحديقة الصغيرة التى يفصل بينها وبين فناء نادنكا حاجز مرتفع ... كان الجو لايزال باردا ، ولم يعد هناك جليد . وبدت الأشجار وكأنما قد فارقتها الحياة . بيد أن رائحة الربيع كانت تضوع فى كل مكان ، والغربان تنعب فى صوت جهورى أثناء استقرارها فى عشها . وذهبت إلى الحاجز ، ووقفت مدة طويلة أتبصص خلال فرجة بالحاجز . وفجأة شعرت بالوحشة تنتابنى . وبدافع يدفعنى إلى العدول عن الرحيل

ثم شاهدت نادنكا تقبل نحو الطنف ، وتحدج السماء بنظرة حزينة والهة . كان النسيم يهب على وجهها الشاحب فيذكرها بالريح التى كانت تزأر فى وجهينا فوق الهضبة الثلجية عندما كانت تستمع إلى تلك الكلمات الثلاث . وكسا وجهها حزن بالغ وانحدرت الدموع على خدها ، ومدت الطفلة المسكينة ذراعها كما لو أنها تتوسل إلى النسيم أن يأتى لها بتلك الكلمات وفى هذه اللحظة همست قائلا « إنى أحبك يانادينا ! »

يالرحمة الله ! أى تغير ذلك الذى طرأ على نادنكا ! لقد ندت عنها صرخة ، ثم ابتسمت ابتسامة أشرقت على وجهها ، وبدت تغمرها البهجة والسعادة والجمال . وجعلت تستقبل النسيم بذراعيها

وذهبت أحزم أمتعتى ...

* * *

كان ذلك منذ أمد بعيد . أما الآن فقد تزوجت نادنكا . . تزوجها سكرتير أحد النبلاء ولها الآن أولاد ثلاثة . .

ومع ذلك فإن ذكرى تلك الأيام التى كانت تذهب معى فيها للانزلاق، فتستمع إلى الريح تهمس إليها « إنى أحبك يانادينا ! » هذه الذكرى لم تغب عن بالها مطلقا ، لأنها فى عرفها أجمل وأسعد بل أكثر الذكريات تأثيرا فى حياتها ...

بيد أنى ، وقد بلغت الآن من الكبر عتيا ، لا أستطيع أن أفهم لماذا تفوهت بتلك الكلمات ، وماذا كان باعثى على هذه المزحة !؟

محمد فتحى عبد الوهاب